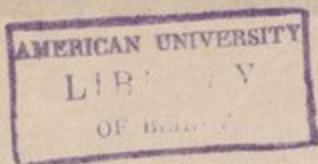


نجاتی صدیقی

بوسکین

امیر شعراءِ روسیا

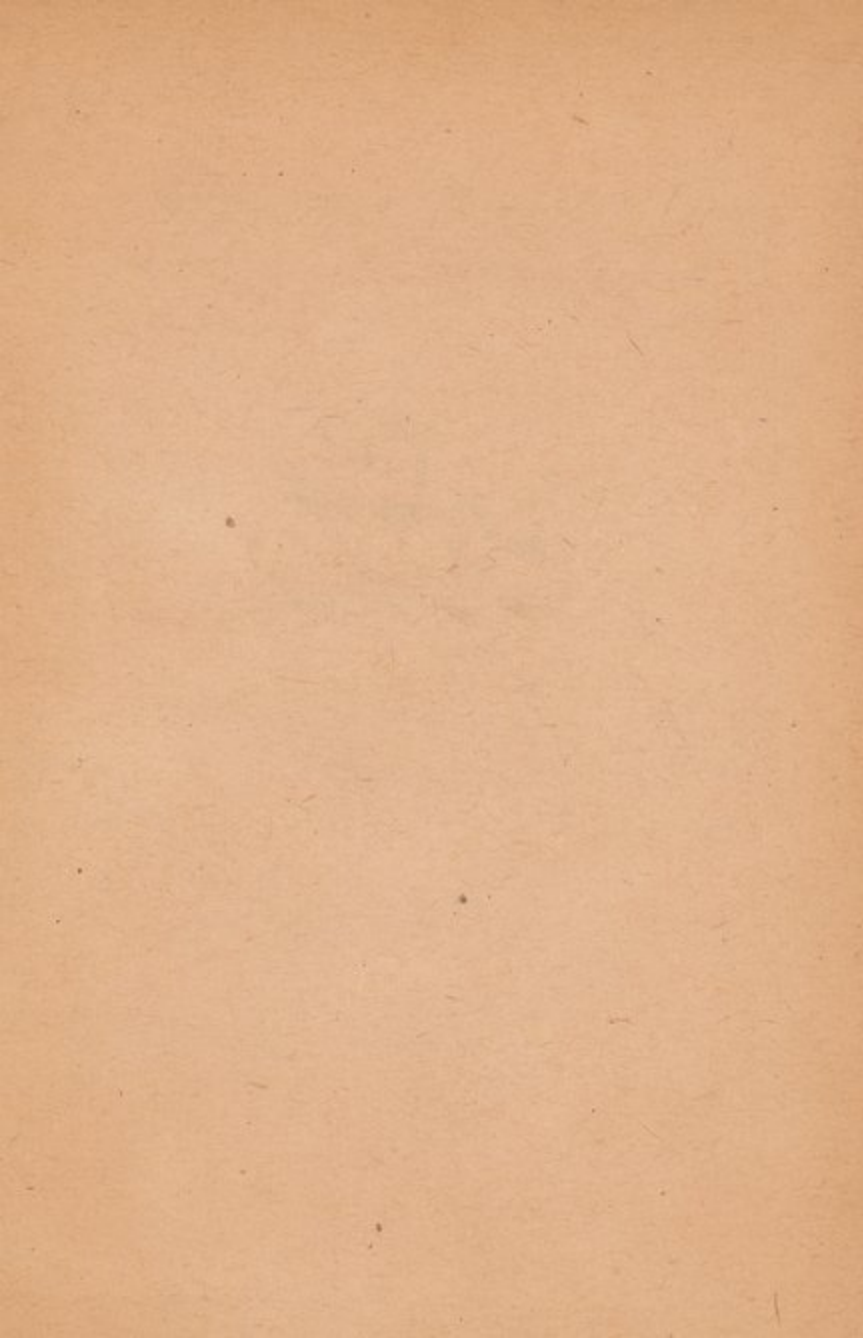


لوئی
مورس

بوشكين

امير شعراء روسيا

« بوشكين هو أول شاعر فنان في روسيا ،
هو سر الشعر الروسي على الاطلاق »
بلينسكى



نجائی صدیقی

891.78

P987Ys A

ع. ۱

بوشکین

امیر شعراءِ روسیا

59965

۲۸

اقرا

تصديرها دارالمعارف
بمعاونة الدكتور طه حسين بك وانظرون انجيل كيت
وعباس محمود العيساد وفؤاد صروف

اقرأ ٢٨ — مارس سنة ١٩٤٥



جميع الحقوق محفوظة
لدار المعارف



الكسندر بوشكين



من رسالة للأديب الكبير الأستاذ

ميخائيل نعيمة

« . . . وأما الفصول التي تُلطف وقرأتها لي من الدراسة التي
تعدّها عن بوشكين فقد تركت في ضميري كثيراً من السرور مع
شيء من الامتنان لك . ذاك لأنك قمت ببعض الواجب الذي
كان من المفروض أن أقوم به أنا نظراً للصلة المتينة التي بيني
وبين الآداب الروسية . فقد رشفتها صافية من منابعها الصافية .
ولكم تمنيت لو يتاح لي نقل بعضها إلى لغتنا كيما ينعم أبناء
الضاد ولو بنفحات من طيوبها النادرة المثال بين آداب الأمم .
« وها أنت تأخذ الكسندر بوشكين ، أعظم شعراء الروس ،
وقمة باسقة ما بين قمم الشعر الباسقات في الأرض ، فتنقل إلى
قراء العربية أخبار حياته القصيرة المدى والحافلة بكل جميل
ومدهش من الأخبار .

« ومما يزيد في قيمة عملك أنك ، وقد حصلت من اللغة

الروسية قسطاً ليس بالقليل ، تستقي معلوماتك من مصادرها
الأصلية ، وفي ذلك ما يغريني بالأمل — وقد فرغت من حياة
بوشكين — أن أراك تنصرف إلى نقل بعض المعالم الأدبية
الروسية إلى العربية . فمن الخجل أن تبقى إلى الآن محجوبة عن
العرب وما من أمة حية — كبيرة كانت أم صغيرة — إلا تتمتع
اليوم بنصيب من جمالها الفتان ، وغناها المفرط ، وروحها الإنساني
العميق » .

ميخائيل نعيمة

(من رسالة إلى المؤلف بتاريخ ٣ آب ١٩٤٤ ، عن بسكنتا لبنان) .

تمهيد

سيرة بوشكين هي سفر جليل الشأن في تاريخ الأدب الروسى وصفحة مجيدة من التاريخ الروسى العام . فدراسة هذا الشاعر الكبير تدفع المرء لأن يستعرض الأدب الروسى جملة ، وأن يتتبع مراحل القيصرية الروسية منذ بطرس الأكبر حتى نيقولا الأول ، ويعود إلى تصفح الحوادث التاريخية التى وقعت فى تلك الديار فى النصف الأول للقرن التاسع عشر ، أى منذ الغزوة النابليونية حتى أول حركة دستورية وقعت فى روسيا سنة ١٨٢٥ . فكيفما ولى المرء وجهه فى التاريخ الروسى فى تلك الحقبة من الزمن وجد اسم بوشكين بارزاً فى كل باب ومضمار ، ومهما طالع من نظم الشاعر ونثره وجد التاريخ الروسى أمام عينيه جلياً واضحاً . ولذا ، فبوشكين للروس هو مثل المتنبى للعرب ، وشكسبير للانكليز ، ودانتى للايطاليين ، وغوته للألمان ، مع حفظ الفوارق القومية والذاتية ، إنه منحة نادرة من منح الدهر ، لم يعيش أكثر من سبع وثلاثين سنة ، لكنه كان وافر الإنتاج ، غزير المادة

فترك من الآثار الشعرية والأدبية الشيء الكثير ، مما يخيل لقارئه أنه كان يجر ذيلًا طويلًا من السنين .

فعصر بوشكين هو العصر الذهبي للشعر الروسى ، هو عصر التقارب والتعارف بين الأدب الروسى من جهة والآداب الغربية والشرقية من جهة أخرى .

كان بوشكين نهاية و بدءًا فى الأدب الروسى ؛ نهاية عصر الجلود المطبوع بالكلاسيكية المزيفة ، و بدء انطلاق الروح من عقالها والتسامى بالنفس ، والتطلع إلى الشعب ، ونشدان الحقائق .

عرف زمن بوشكين بالاستبداد الاجتماعى ، زمن كان يباح به لملك الأرض أن يملك الفلاحين كما يملك الماشية ، وكانت السلطات كلها مركزة بيد القيصر ونبل المملكة ، وإذ بدأت

الارستقراطية الروسية تتراجع أمام التطور الصناعى فى البلاد ، وتتقهقر أمام المدنية الأوروبية ، برز من بين هذه الفئة الآخذة بالأغلال رجال ينشدون الحرية السياسية والاستقلال الفكرى .

وكان بوشكين المنحدر من أسرة نبيلة ، أول من أعرب عن انحلال وسطه ، وطالب الإقرار بالشعب بوصفه المرجع الأول والأخير للسلطة .

كان بوشكين أول من استهل الدعوة إلى الحد من سيادة النبلاء في روسيا ، كما كان الكونت تولستوى آخر من اختتم تلك الدعوة بانفصاله عن بيئته ومحاولته توزيع أراضيه بين الفلاحين الروس .

فبوشكين نبيل ، وتولستوى نبيل ، وكلاهما كان ناقماً على مجتمعه ، مطالباً بقييد الحكم القيصري ، وإعلاء شأن الأنظمة الديموقراطية بين الناس ، غير أن الأول حصر أمانيه في الحصول على بعض الحريات السياسية والثقافية ، بينما الثانى حث على مقاومة التطور الصناعى ، والعودة إلى الأرض الأم ، وتحويل المجتمع الروسى القروى إلى مجتمع تعاونى يقوم على نظام المشاع القديم .

لقد تأثر بوشكين فى بدء طلعته بالأدب الفرنسى ، لكنه ما كاد ينضج ويحتك بالمجتمع حتى ولى وجهه صوب الأدب الإنكليزى فأعجب باتجاه بيرون العاطفى ، ثم أخذ يمجّد شكسبير وينحونحوه فى مسرحياته ، مع محافظته التامة على الروح والطابع الروسين . ومما يجدر بنا ذكره أن بوشكين إبان زيارته للقرم والقوقاس تأثر بالحيط الإسلامى ، فأوحى له قصائد جمة مثل (نافورة

باغشى سراى) ، و (الأسير القوقازى) ، و (القوقاز) وغيرها ،
وقد عوّل إثر تلك الزيارة على تعلم اللغة العربية ، ولا تزال الأوراق
التي خط عليها الأحرف العربية محفوظة في متحف في لنینغراد
حتى أيامنا هذه .

فمؤلفات بوشكين مترجمة اليوم إلى معظم لغات شعوب الاتحاد
السوفييتي ، والكل يطالعها ويطرب لها ويفهم معانيها ، دون
فرق إن كان القارئ روسيا أم أوزبكياً .

قيل إن جماعة من فتيان وفتيات روسيا اليوم بينما كانوا
يطوفون متنزهين في موسكو وقفوا عند تمثال لبوشكين وقد كتب
على قاعدته بيت من شعره قال فيه : « مرحى أيتها الأجيال
الفتية المقبلة ! » ، وإذ هم على ذلك نفرت من بينهم فتاة في
السابعة عشرة من عمرها وقد عصبت رأسها بمنديل أحمر ،
وصرخت بصوت برىء : مرحى بوشكين !

قل من يعرف سيرة بوشكين ومؤلفاته من قراء العربية وذلك
على عكس تولستوى ، ودستويفسكى ، وتشيكوف ، فانهم
معروفون لدى عدد لا يستهان به من مثقفي البلاد العربية ، ولذا

عمدت إلى تلخيص مغزى أهم قصائد الشاعر ، ومسرحياته ، وقصصه ، وترجمت مقاطع من شعره أوردتها لا لكي تؤخذ مادة للحكم على بوشكين ، وإنما لمجرد المتعة الأدبية ، كما أرفقت كتابي هذا بفهرس لشخصيات روسية مجهولة للقارئ العربي ، وفسرت له بعض الحوادث التاريخية ليتمكن من متابعة الموضوع بسهولة تامة .

إن هذه الدراسة هي ثمار مطالعة طويلة لمؤلفات بوشكين وترجمة حياته ، وإنني لا أعتبرها قد شملت كل مناحيه ، لكنها تعطي القارئ العربي صورة واضحة عن اتجاهات أمير شعراء روسيا الشعرية والأدبية ، وتمهد له السبيل للتعرف إلى ما ترجم منها إلى اللغات الانكليزية والفرنسية والعربية .

نجاتي صدقي

ألكسندر بوشكين

• أمير شعراء روسيا

كنت وقتئذ أطلب العلم في جامعة موسكو ، وفي تلك الأثناء سمعت لأول مرة باسم ألكسندر بوشكين أمير شعراء روسيا ، وكانت المناسبة في ذلك أن الطالبة الروسية « تاتيانا » حددت لي موعداً عند تمثال بوشكين الواقع في مدخل تفرسكوى بولتار ، ولما تقابلنا في الموعد المضروب جلسنا هنيهة قبالة التمثال ورحنا نتجاذب أطراف الأحاديث فتطرقنا إلى الشعر الروسي ، وشعراء الروس ، ومنهم الشاعر الكبير بوشكين ، فكانت جليستي تحدثني عنه وتشير بيدها إلى ناحيته ، ولما كنت أتتبع أقوالها وأجاري حركاتها استرعت انتباهي ملامح شرقية في وجه الشاعر ، فقلت لها : ما لي أرى شاعر كم أجعد الشعر ، غليظ الشفتين ، بارز الصدغين ، فهي ملامح لا تكون في الروس عادة ؟ . . قالت والابتسامة على ثغرها : لا تعجب فإن شاعرنا ينحدر من أصل حبشي !

وهنا أخذتني الحيرة ، وأشكل على الأمر ، وجعلت أسائل
نفسى : أياكون شاعر الروس العظيم من أصل حبشى ؟ .. وهل
يعقل أن ينبج العنصر الأسود عباقرة إذا ما مزج بدم الصقالبة
الشمالين ؟ ..

ومنذ ذلك الحين عقدت النية على درس حياة بوشكين
والإحاطة بمؤلفاته ، فأقبلت على إجادة اللغة الروسية ، وكانت
« تاتيانا » أستاذتى فى إتقان تلك اللغة ، ومعينى فى الارتواء من
منهل ذلك الشاعر العبقرى .



هاجم جماعة من القرصان فى أواخر القرن السابع عشر شواطئ
الخبشة ، واستولوا على جمع من الأطفال ، وكان بينهم ابن أحد أمراء
الأحباش فى الثامنة من عمره ، ثم أبحروا بهم إلى الآستانة حيث
باعوهم فى المزارد العلنى ، وكان ابن الأمير الحبشى من نصيب سفير
روسيا فى الآستانة إذ افتداه وقدمه هدية للقيصر بطرس الأكبر .
أحب بطرس الطفل الحبشى فعمده وتبناه وسماه إبراهيم
بيتروفتش هانيبال^(١) ، ولما بلغ من العمر الثامنة عشرة أرسله إلى

(١) انظر الفهرس فى آخر الكتات .

مدرسة سان سير بباريس ليتلقى العلوم الحربية فيها ، فتوجه إلى العاصمة الفرنسية ومكث فيها مدة ثمانى سنوات ، أصبح خلالها قائداً فى المدفعية ، ثم اشترك فى الحرب الاسبانية سنة ١٧٠٣ وأصيب بجرح بليغ فى رأسه ، فعاد إلى باريس ومنها إلى روسيا حيث كان بطرس الأكبر بانتظاره .

لقد فرح القيصر بعودة إبراهيم هانيبال فرحاً عظيماً ، وجعله قائداً لإحدى فرق المدفعية ، وزوجه من ابنة أحد وجهاء الروس واسمها نتاليا غاثريلوفنا آفاناسيقتش ، وأكرمها ، وأغدق عليه العطايا .

ولما توفى بطرس الأكبر سنة ١٧٢٥ فقد إبراهيم الأب الشفوق الذى كان يراعه ويعنى بأمره ، فانتقلب عليه بعض الوزراء وسعوا إلى إبعاده عن العاصمة الروسية إلى منطقة شمالية نائية ، لكن قساوة الإقليم ، وآلام الوحدة ، اضطرتاه إلى العودة خفية إلى قريته الواقعة بالقرب من بطرسبورغ ، فظل مختفياً فيها طيلة مدة حكم أنا إيثانوفنا ، ولما اعتلت إليزابيت پثروفا العرش ظهر هانيبال ثانية فى بلاطها فغمزته بعطفها ولطفها .

وكانت وفاة ربيب بطرس الأكبر إبان حكم كاترين الثانية

عن اثنتين وتسعين سنة ، وكان إذ ذاك جنرالاً في المدفعية ،
وخلف أولاداً ، وكان أحدهم من أقدر رجالات الجيش الروسى
في العصر الإكترينى .

وفي سنة ١٧٩٨ تزوج سرجى لفوقتش بوشكين ، أحد
أشراف روسيا ، بفتاة حسناء تدعى ناديجدا اوسيبوفنا هانيبال
هى حفيدة إبراهيم هانيبال ربيب بطرس الأكبر ، وناقلة الملامح
الزنجية ، والدم الإفريقى إلى أمير شعراء روسيا الكسندر
سرجيقتش بوشكين .

طفولة بوشكين

ولد بوشكين فى موسكو فى السادس والعشرين من شهر أيار
(مايو) سنة ١٧٩٩ ، وكان والداه يسيران على منوال أهل
الأوساط الروسية العليا فى تلك الأيام ، يقضيان حياة مسرفة فى
اللهو والتمتع بالملذات ، فلا يدعان فرصة تفوتهما لارتياح المراقص
والملاهى وإقامة الحفلات الساهرة الصاخبة ، تاركين أمر الاعتناء
بطفلهما إلى الخدم والمربين الأجانب ، الذين كانوا دائماً عرضة
للتغيير والتبديل ، عدا عن عدم إتقانهم اللغة الروسية الإتيقان

الكافي لتربية الأطفال ، الأمر الذى ترك أثره فى الطفل بوشكين فكان حتى التاسعة من عمره سكوتاً قليل الحركة ، غير أن هذه المظاهر الخارجية لم تحجب عن الأعين سرعة انتباهه وتعطشه إلى إدراك الحقائق المحيطة به .

لقد تربي الطفل فى أول طلعتة تربية فرنسية ، وما أن بلغ الحادية عشرة حتى كان يطالع بسهولة تامة أى كتاب فرنسى يقع فى يده . قال أخوه ليف بوشكين فى مذكراته : « كان أخى يقضى الليالى ساهراً ، فينسل خفية إلى مكتبة والدنا فيلتهم الكتب الواحد إثر الآخر . . لقد كان يتحلى الكسندر بذاكرة خارقة ، وأعجب ما فيه أنه استظهر الأدب الفرنسى أجمعه وهو فى الحادية عشرة من عمره ! »

لم يدع بوشكين مؤلفاً للكتاب الفرنسيين الكلاسيكيين إلا وطالعه ، كما أنه لم يدع كتاباً لعلماء القرن الثامن عشر وأدبائه إلا وأكب عليه وبذلك أتيح له أن يتعرف منذ صغره إلى الآراء الناضجة التى قامت عليها الثقافة الأوروبية فى ذلك العصر .

فثقافة بوشكين والحالة هذه كانت ثقافة فرنسية ، غير أنه فى الوقت ذاته لم يكن منعزلاً عن المحيط الروسى ، وعن مؤثرات

الحياة الروسية ، فمنذ أن أخذ يدب على الأرض حضنته مر بيته الروسية (آرينا رودبونوفا) ، وهى امرأة فلاحه ذات اطلاع واسع فى القصص الشعبية الروسية ، فكانت تلج بالطفل بوشكين فى عالم سحرى من الخيال الشعبى الروسى ، وتوحى له حب اللغة الروسية ، وتعلمه الكتابة والقراءة ، وتلقنه الحكم والأمثال ، وتحفظه الأغاني والأناشيد والأهازيج الروسية المختلفة . وكان فى خدمة بيت بوشكين أيضاً فلاح يدعى (نيكيتا كوزولوف) ، فكثيراً ما كان هذا الفلاح يتجول مع بوشكين فى شوارع موسكو ، فيتمتع الطفل بمشاهدة صور من حياة العامة من الناس ، ويستمتع إلى لهجاتهم ، وتعابيرهم ، ونواديرهم ، فكان لهذا وذاك أن امتزجت التربية الغربية فى رأس الطفل بمؤثرات البيئة الروسية القومية ، وأصبحت كلتاها جزءاً لا يتجزأ من نفسه ، يضاف إلى ذلك كله أن أباه كان ينظم الشعر ، وأن عمه (فاسيلى لفوقتش بوشكين) كان شاعراً بارزاً فى وقته .

ولما كنا بصدد العوامل التى صقلت ذهنية بوشكين الطفل ، نقول إن مجتمع موسكو كان يعيش بعيداً عن بلاط القيصر وحاشيته ، وفى موسكو هذه أقام عدد كبير من المفكرين الذين

لم يجعلوا همهم البحث عن مناصب في دوائر الدولة ، ولذا كانوا أكثر استقلالاً في تفكيرهم ، وأشد تحسناً بكرامتهم الشخصية ، على نقيض مجتمع بطرسبورغ في ذاك الحين فانه كان يعج ببائعي الضمائر ، وبالمتسحين بأعتاب البلاط القيصرى .

جئوا موسكو هذا نفذ إلى نفس الطفل من حيث لا يشعر ، فقد تبينت فيه منذ نعومة أظفاره صفات خاصة نعتها بعضهم بالعناد والتصلب بينما كانت هى باكورة شعوره بالاستقلال الذاتى ، ونفوره من القهر والمذلة .

بوشكين فى معهد النبلاء

فى ضواحي بطرسبورغ ، وعلى بعد عشرة أميال منها ، يرى المرء قرية صغيرة تعرف بـ « تسارسكويه سيلو » ، وإلى الجانب الغربى من هذه القرية يقوم قصر عامر صقلى الهندسة والبناء ، أنشئ خصيصاً لتؤمه الأسرة القيصرية فى فصل الصيف ، فتقضى فيه شهرين أو ثلاثة أشهر بعيدة عن ضجيج العاصمة ومشاكل الحكم ، ولهذا القصر الذى تحيط به الأشجار الباسقة ، والفوارات الجميلة الصنع ، جناح أعده القيصر الكسندر الأول

ليكون معهداً علمياً مهمته تحضير شبان ممتازين من أبناء الأسر الروسية العريقة لتعهد إليهم في المستقبل الوظائف الخطيرة الشأن في الدوائر الحكومية القيصرية :

ففي اليوم التاسع عشر من شهر تشرين الأول (اكتوبر) سنة ١٨١١ احتفل بافتتاح المعهد المذكور بحضور القيصر الكسندر الأول وعدد كبير من الوزراء والأمراء والأعيان ، وقد أبدى القيصر في هذا الاحتفال رغبته بأن يكون المعهد داخلياً لا يضم أكثر من ثلاثين طالباً ، وألاً يسمح لهؤلاء الطلاب بزيارة أهلهم إلا في الحالات الاستثنائية ، وأن تكون مدة الدراسة ست سنوات فلا يخرج الطالب من المعهد هذا إلا وقد أتمها بكاملها ، وعلى هذه الأسس باشر المعهد عمله ، فانضم إليه فريق منتخب من أبناء الأسر البارزة وكان في عدادهم الشاب بوشكين البالغ من العمر اثنتي عشرة سنة فقط .

والمعروف عن بوشكين في حياته المدرسية هذه أنه ألف حوله حلقة من عشاق الأدب والمفكرين الأحرار ، مثل الشعراء بوشين^(٢) ، وكوخيلبيكر^(٣) ، ودلقينغ^(٤) ، وغيرهم ، وكانوا مستقلين كل الاستقلال عن جماعات التزلف والارتزاق التي

أحاطت بالقيصر الكسندر الأول كإحاطة السوار بالمعصم ،
 ينظرون بعين نقادة ليس إلى كل ما كان يجري داخل القصر
 القيصرى فحسب ، بل إلى نمط المعيشة الروسية بأسره ، وقد
 امتاز بوشكين على زملائه بعطفه على عامة الناس ، فكان له بين
 خدم القرية القيصرية ، وفلاحيهها ، وبوايهها ، خلان ومحبون .
 أما نظام التعليم فى المعهد فلم يقيم على مستوى عال ، إذ
 افترض أولو الأمر أن يجعلوا برامج السنوات الست الدراسية
 تشمل التعليم الثانوى والعالى فى آن واحد ، فكانت النتيجة أن
 اضطرب مجرى التدريس ، وصار معظم المدرسين يلقنون طلاب
 المعهد المعلومات السطحية ، ويحشون أدمغتهم بالقشور دون
 اللباب ، فانقطع حبل الصلة فيما بينهم وبين طلابهم ، فغدا هؤلاء
 فى واد وأولئك فى واد آخر ، حتى أن أحداً من هؤلاء المدرسين
 لم يتمكن من اكتشاف مواهب بوشكين وعبقريته بل على
 النقيض من ذلك ، لقد رأوا فيه العيوب والنقائص مجسمة .
 وعلى سبيل المثل نورد ما كتبه عنه أحد أساتذته فى ملاحظاته
 السنوية قال : « الكسندر بوشكين كسول جداً ومتغطرس ،
 وكفاءاته لا بأس بها ، فهو على الجملة ذكى غير أن ذكاه

ويا للأسف منصرف إلى تنميق العبارات الجوفاء ، ومن صفاته الأخرى أنه طائش ، ومغرور ، ومهمل ، لكنه طيب القلب ، ويميل بصورة خاصة إلى نظم الشعر .

وكان بين مدرسي معهد القرية القيصريّة أساتذة أفاضل ، خلا أولئك السطحيين ، ثقفوا طلابهم تثقيفاً حسناً ، ووجهوهم توجيهاً ممتازاً ، نذكر منهم الأستاذ (بودرى مارا) أستاذ اللغة الفرنسيّة ، وهو شقيق (دافيد مارا) أحد زعماء الثورة الفرنسيّة الكبرى ، فوجود شقيق مارا في المعهد كان بحمد ذاته حافزاً للطلاب الناشئين على اعتناق الفكرة الديمقراطيّة الفتية .

ومن أساتذة المعهد الذين كان لهم يد بيضاء على الثلاثين طالباً البروفسور كونيّتينسين أستاذ علم الاجتماع والحق الطبيعيّ ، فهو رجل تثقف في أوروبا فتأثرت آراؤه العلميّة بالفلسفة الإنشائيّة المتغذية بروح المساواة ، ومقت الاستبداد واستنكار أمر استعباد إنسان لآخر ، فلما عاد إلى روسيا انضم إلى معهد القرية القيصريّة وكان يلقي طلابه نظريات مستغربة جداً بالنسبة للنظريات التي سادت روسيا في ذلك العصر ، فمنها قوله :

« المعنى من حق الفرد أن لكل إنسان أن يتصرف بما يملكه من

قوة روحية ومادية حسب رغبته واختياره ، على ألا يعاكسه
في ذلك معاكس .

« وإن الحرية الفردية هي حق قطعي لا ينقض ولا ينسخ ،
وكل من يحاول منع الإنسان من التمتع بشروط معاشية إنسانية ،
فهو شخص يجب قهره بطبيعة الحال ، باعتباره كائنًا لا يعترف به
ناموس العقل ولا يقر بوجوده »

« وكل إنسان في داخلته حر ، ولا يخضع إلا لناموس
العقل ، وعلى ذلك لا يجوز لغيره من الناس أن يتخذوه وسيلة
لتحقيق مقاصدهم . وكل من يعتدى على حرية غيره فإنه يسلك
مسلكًا يتنافى مع طبيعة ذاته ، ولما كانت طبيعة الناس ، بقطع
النظر عن اختلاف أوضاعهم ، هي واحدة ، فإن كل اعتداء
جائر يقع على الفرد يثير فينا روح السخط والاستنكار . وهذا
ما يبين لنا على أن العدل بين الناس أمر طبيعي »

وعلى ذلك نرى أن الفكرة الأساسية للمبدأ الديمقراطي قد
نفذت إلى ذلك المعهد الذي أنشئ في قصر القيصر ، ووجدت
فيه تربة صالحة ، وكان بوشكين أكثر التلاميذ تحمسًا لاستماع
محاضرات الأستاذ كونيتمسين في مواضيعه الاجتماعية .

لقد كان بوشكين في حياته المدرسية عريداً إلى حد المغالاة مثل زملائه الفتيان النبلاء الناشئين ، غير أن طبيعته التي فطر عليها كانت ، كما قال (تشرنيشيفسكي)^(٥) ، طبيعة سليمة من الشوائب ، تفوقت فيها الأحاسيس الإيجابية مثل الصداقة ، والحب ، والنزوع إلى الاجتماع .

وإذ كان بوشكين يواصل دراسته وقعت في حياة روسيا العامة حوادث على غاية من الأهمية وأبرزها :

مساهمة روسيا مساهمة فعالة في السياسة الأوروبية ، وغزو نابليون لروسيا ، وإحراق موسكو ، ثم كسر الفرنسيين في (بورودينو) ، وزحف الجيوس الروسية على أوروبا وسقوط باريس والقبض على نابليون ونفيه ، فهذه الحوادث الجسام مجتمعة حملت بوشكين على الاعتقاد ، كما حملت غيره من أنصار الرقي والتقدم ، أن القيصر الكسندر الأول سيقدم على انتهاج سياسة تستند إلى مبادئ الحرية ان في روسيا أو في أوروبا على السواء ، غير أن بوشكين ما لبث أن أصيب بخيبة في آماله فلم يجد في مولاه ذلك البطل الذي ينشده .

وبالرغم من أن معهد القرية القيصرية كان معهداً داخلياً ، منعزلاً عن الحياة العامة ، فإن تلاميذه كانوا على اتصال وثيق بالاتجاهات السياسية والأدبية الجارية في موسكو و بطرسبورغ ، وقد شاءت الظروف وقتئذ أن ترابط في القرية القيصرية كتيبة من الفرسان معظم ضباطها من أنصار (الدسمبرين) ^(٦) فكان هؤلاء الضباط بحكم وجودهم ضمن نطاق القصر يحتمكون بتلاميذ المعهد ويروون لهم ما يقع في البلاد من حوادث ، ويمدونهم بمطبوعات ديمقراطية المبادئ ، وكان بين أولئك الضباط شاب يدعى (تشادايث) ^(٧) وهو فيلسوف أديب أعجب به بوشكين كل الإعجاب وأكثر من الاتصال به وتبادل الآراء وإياه .

لقد كانت سنوات دراسة بوشكين مرحلة أساسية في تقرير نزعتيه الأدبية والسياسية ، وكان المعهد أشبه بجمهورية صغيرة يمارس أفرادها الأدب على أنواعه ، فكانوا يصرون مجلة خطية ، و يقيمون الحفلات الأدبية ، والمسامرات القصصية ، عدا تمثيل الروايات الجدية والهزلية ، أما نظم الشعر فقد كان واجباً مسجلاً في البرنامج الدراسي ، وعلى ذلك تكوّن في المعهد وسط إبداعي

يتابع باهتمام زائد مجرى الحياة الروحية في البلاد الروسية ، ويشترك في المجادلات الأدبية الجارية خارج جدران المعهد ، وكانت قصيدة (إلى صديق الشاعر) أول قصيدة للطالب بوشكين وقد نشرتها له وقتئذ مجلة «الرسول الأوروبي» الصادرة في بطرسبورغ . ولما كانت هذه القصيدة هي باكورة قصائد بوشكين وهو في الخامسة عشرة من عمره رأينا تلخيصها لتكوين فكرة واضحة عن نابغة الروس الكبير .

جعل بوشكين قصيدته هذه حواراً يدور بينه وبين (آريست) ^(١) - صديقه الشاعر - ، فاستهل الحوار بقوله : « أنت أيضاً يا آريست تحشر نفسك بين خدمة آلهة الشعر ، وترفع عقيرتك بالهجو والتلب ! . . »

« دع القلم والمحبرة ، وآنس الأنهر والأحراج ، والقبور المحزنة ، . . إن الشعراء لكثيرون بدونك أيضاً ، إنهم اليوم ينظمون الشعر ، وغداً سيسدل العالم عليهم شعار النسيان . . »
 « أجل ، إنك ستقطب حاجبيك لدى سماعك قولي هذا وستجيبني : أرجوك ألاّ تجهد نفسك ، إنني إن قررت شيئاً فلن أتخلي عنه ، لقد كُتب لي أن أنظم الشعر ، ودع العالم يصدر

حكمه في كما يحلو له ، إحنق على وأصرخ ، وعربد ، إننى مع ذلك كله سأظل شاعراً .

« آريست ، اسمع ما أقوله لك : ليس الشاعر هو الذى يحسن جمع القوافى ، ويسرف فى تحبير الورق وبرى الأقلام ؛ كلا ، ليس من السهل على المرء أن يقول الشعر ، وليس من الأمر الهين إيجاد شعراء أمثال ديمترييف^(٩) ، ودرجاڤين^(١٠) ولومونوسوف^(١١) فهو لاء المنشدون الخالدون يعلمونا حب الوطن وتمجيده ، أنهم يثبون روح الحق ، وينيرون الأذهان .

« ولنفترض أنك بلغت قمة الشعر بسلام ، وغدا الكل يقرؤك ، ولقبت بالشاعر المفلق . . فهل تعتقد أن نهراً من الذهب سيتدفق عليك ؟ . . أو أن صناديق حديدية مملأة بـ (التشرفو نيتس)^(١٢) ستكون تحت تصرفك ؟ . .

« كلا أيها الصديق ، إن ثروة الشاعر لا تتمثل بالقصور المرمرية ، ولا بصناديق الأموال الحديدية ، إن قصر الشاعر مؤلف من طابقين : جحر فى بطن الأرض وكوخ فوقها . . والشاعر الحق هو الذى يولد عرياناً ، وإلى القبر يذهب عرياناً . . أنسيت أن الشاعر اليونانى (كامونيس) كان ينام مع الفقراء فى

فراش واحد؟ .. وأن الشاعر (كوستروف) مات في كوخه ولم يدربه أحد، ودفن بأيدي غريبة؟ .. حقاً إن حياة الشعراء كلها أحزان وأحلام.

« يخال لي أنك ستوجه إلى القول التالي : أراك أصبحت (جوئينالاً)^(١٣) آخر تصدر أحكامك في الشعراء بصرامة، وأنت نفسك غارق في الشعر حتى الأذنين .. ألا زلت في عقلك ؟ .. »

« آريست ، إنني أجيبك على قولك هذا بالقصة التالية : اذكر أن قساً طاعناً في السن ، وقد غمر الشيب رأسه ، كان يقطن قرية من قرى الشمال ، وكان مسالماً مع جيرانه ، يعيش بالقناعة والشرف والاستقامة ، والكل يلقبه بالحكيم الأول . »

« وحدث مرة أن دعى القس إلى حفلة عرس صاخبة ، فلما حل الليل عاد إلى بيته وقد فعلت الحجرة في رأسه فعلها ، وإذ هو يسير في طريقه قابله فريق من الفلاحين فاستوقفوه مستغربين وقالوا له : أبانا ! . ألم تمنعنا بذاتك عن شرب الحجرة . ونصحتنا أن نكون دائماً واعين ؟ .. فما الذي حدا بك أن تفعل نقيض ما تنصح به ؟ .. »

« قال القس للفلاحين : أصغوا إلي جيداً : عليكم أن تفعلوا

بمقتضى ما ألقنكم آياه فى الكنيسة ، عيشوا عيشة هنيئة طيبة ،
ولا تحاولوا تقليدى !

« وأقول لك بدورى يا (آريست) غير محاول تبرير نفسى :
سعيد المرء الذى لا ينظم الشعر وإنما يقضى عمره فى جو هادى ،
بعيداً عن الهموم والأحزان .

« والآن أيها الصديق العزيز : بعد أن قدمت لك نصيحتى ،
هل تعتزم التزام الصمت أم لا ؟ . . فكر جيداً وتأخير أحد أمرين :
إما المجد فهو حسن ، وإما الهدوء فهو أحسن ! . »

وفى الثامن من شهر كانون الثانى (يناير) سنة ١٨١٥ كان
اليوم المعين لاجتياز طلاب المعهد الامتحان السنوى بحضور عميد
شعراء الروس الشاعر الشيخ درجاڤين ، ووزير المعارف
رازوموفسكى ، وكبير رجال الدين فى بطرسبورغ ، وغيرهم من
كبار موظفى الدولة وأعيان العاصمة ، وأسر الطلاب وأصدقائهم .
ولما جاء دور بوشكين اشأبت إليه الأعناق ، فانتصف القاعة
وألقى بصوت جهورى قصيدته العصماء (ذكريات القرية
القيصرية) فإذا بالامتحان يتحول إلى مظاهرة ينتصر فيها
المستمعون للشاعر الفتى ، وهو أول اعتراف إجماعى به ، وكان

الشيخ درجاڤين يصغى إلى بوشكين بانتباه زائد ، واضعاً يده على جبهته ويتمتم قائلاً : هذا هو خلف درجاڤين ! ..

كتب بوشكين فيما بعد يذكر تلك الفترة الشائقة في حياته فقال : « جرى امتحاننا السنوى لعام ١٨١٥ ، وقد اضطررنا كثيراً لما عرفنا أن درجاڤين سيكون بين الهياة الممتحنة .. كان درجاڤين طاعناً في السن ، وكانت تبدو عليه أثناء الامتحان علامة السامة والملل ، وبقيت موجات النعاس تتناوبه إلى أن جاء دور الأدب الروسى ، هنا انتعش درجاڤين ، وبرقت عيناه ، وتغيرت ملامحه تماماً ، فشرع التلاميذ يقرأون شعره ويفسرونه ، ويطنبون بعظمة الشاعر وعبقريته ، وأخيراً دعيت فدخلت القاعة ووقفت على بعد خطوات من درجاڤين وأسمنت الحضور قصيدتى (ذكريات القرية القيصرية) .. إننى لعاجز عن وصف حالتى النفسية وقتئذ ، فلما بلغت الأبيات التى أذكر فيها اسم درجاڤين تهدج صوتى ، ونبض قلبى نبضات الطرب والفرح ، ولا أذكر كيف أنهيت قراءتى ، وإلى أين هرعت ، لقد كاد الشاعر الشيخ يطير من الابتهاج فطلبنى ليعانقنى ، فبحثوا عنى لكنهم لم يعثروا على .. »

لقد نمت مواهب بوشكين الأدبية بتأثير مطالعته المستمرة لما تخطه طليعة مفكرى الغرب وفي مقدمتهم فولتير ، فاستوعب الآداب الأوروبية الكلاسيكية ، وآداب معاصريه من كتاب الروس وغير الروس ، وخاض ميدانى الأدب والشعر ، فلفت أنظار أدباء يكبرونه سناً أمثال كارامزين^(١٤) وجو كوفسكى^(١٥) ، وكانوا يعاملونه معاملة الصديق للصديق حتى وقت أن كان طالباً في معهد القرية القيصرية .

ولما كان بوشكين يطلب العلم عمد إلى أخذ مكانه في المعتزك الأدبى ، فانتظم في جمعية (أرزاماس) الأدبية ، وهى جمعية ألفها كل من كارامزين ، وجو كونسكى ، وباتيموشكوف^(١٦) وغيرهم ، وكانت غايتها إصلاح اللغة الأدبية الروسية ، وأوربة شكل الأدب الروسى ، واستبدال اللغة المقعرة ، المصطنعة ، الغامضة ، بلغة سهلة ، قريبة من متناول الشعب ، على نقيض ما كانت ترمى إليه (جمعية محبى الأدب الروسى) التى كان يرأسها الأميرال شيشكوف^(١٧) فهى جمعية كانت تدعو إلى إبقاء القديم على قدمه وتنظر إلى الأدب نظرة خيالية عقيمة ، وكان بين (أرزاماس) و (جمعية محبى الأدب الروسى) التى تعرف أيضاً بـ (بسيدا)

عراك طاحن اصطبغ لدرجة ما بالسياسة الحافظة والمجددة .

اجتاز بوشكين نطاق المعهد في مداركه ، وراح ينظر إلى يوم الانطلاق بلهف شديد ، ولعل رسالته التي بعث بها إلى صديقه فيازيمسكي أصدق صورة عما كان يحس به في ذلك الحين . كتب لصديقه يقول : « لم أشعر بمثل قط من حياة المعهد مثلاً أشعر اليوم وبقيني أن الوحدة هي في الواقع أمر سخييف على الرغم من أنف الفلاسفة والشعراء الذين يدعون أنهم يتعشقون حياة القرية ، ويفرون إلى حيث السكينة والهدوء . حقاً أن أوان تخرجنا من المهد آخذ بالاقتراب ، لقد بقيت سنة واحدة فقط ، ولكن أواه . . سنة كاملة من زائد وناقص ، وصواب وخطأ ، وعال وممتاز ، وتوبيخ وعقوبات . . سنة كاملة من التأوُّب على مقعد الدراسة ، إنه لأمر مروع ، ومن الكفر حجب الفتى في بيت مغلق الأبواب » .

وفي صيف ١٨١٧ حل اليوم المرتقب فانطلق بوشكين مع زملائه من المعهد ، وأخذ يعدو باسطاً ذراعيه يستقبل الحياة بكل ما يكتنفها من غموض وأسرار .

في عاصمة القيصرية

كانت العادة المتبعة في روسيا القديمة إسناد وظائف شكلية في دوائر الحكومة لأبناء الأشراف والأسر صاحبة النفوذ بقصد المظهر وشغل المركز لا غير ، فلما تخرج بوشكين في معهد القرية القيصرية أسندت إليه أيضاً وظيفة في وزارة الخارجية الروسية فكان مثل باقي زملائه يثبت فيها وجوده يومياً وما أن تنتهى ساعات العمل المقررة حتى يفر إلى مجتمعات بطرسبورغ فيرتاد أنديتها الأدبية والعلمية ، ويغشى مراقصها ، ومراسيحها ، ويغازل ، ويعشق ، ويبارز من أجل الحب والجمال الفتان ، وكيف لا يكون كذلك وهو الشاب الذي أعتق من معهد صارم القوانين قضى بين جدرانها ست سنوات على التوالي .

غير أن عبث الأوساط العليا في العاصمة الروسية لم يحل دون بوشكين وقيامه بواجباته الاجتماعية والسياسية ومواصلة دراساته العلمية والأدبية . ومما هو جدير بالذكر أن عدداً كبيراً من أبناء أشراف الروس كانوا ينزعون مثل بوشكين إلى التجديد ، وكان

منهم من هو منتظم في جمعية الدسمبريين الخفية التي كانت تستهدف إلغاء القيصرية أو تحديد سلطانها والقضاء على حق استرقاق^(١٨) الفلاحين .

فكثير من أصدقاء بوشكين ورفاقه ، ونخص منهم بالذكر بوشين كانوا منخرطين في سلك الحركة الدسمبرية ويعملون على نشر أفكارها في كل انحاء روسيا ، أما الشاعر نفسه فلم يكن عضواً في هذه المنظمة مع أنه كان يساعدها بأشعاره ويعطف عليها بأقواله ، لكنه انضم فيما بعد إلى جمعية أدبية يشرف عليها الدسمبريون إشرافاً غير مباشر وقد أطلقوا عليها اسم (جمعية القنديل الأخضر) وكانت ترمى إلى بث أفكار سياسية معينة فتعقد لأعضائها اجتماعات تحمل فيها على النظام القيصرى وتنتقده انتقاداً مرّاً ، وتعلل الآمال بالتجديد المقبل .

عُرف بوشكين في أوساط الدسمبريين بأنه الشاعر المبشر بمثلهم العليا ، وقد وضع لهم في سنة ١٨١٧ (نشيد النهضة) تغنى فيه بالحرية السياسية التي أوحتها له ظروف أيامه ، وأعرب عما تكنه نفسه من أمان إصلاحية . لقد كان الشاعر من أنصار الملكية الدستورية المحدودة الصلاحية ، وكان يمتق كل أنواع الاستبداد

إن كان مصدره الحاكم الفرد كالقيصر ونابليون وأشباههما ،
أو متطرفو الجمهورية كيعاقبة^(١٩) الثورة الفرنسية ، فالكل في
نظره مستبد بقطع النظر عن الأدوار التاريخية التي بعثت هؤلاء
وفرضت أولئك .

وكتب صاحب الترجمة قصائد وشذرات سياسية عديدة هي
في الظاهر حملات على قياصرة الرومان وجورهم ، وعلى نابليون
وعسفه ، ولكنها كانت ترمى في الواقع إلى الطعن في القيصر
ونظامه ، وكانت تنسخ سراً ، وتتناقلها آلاف الأيدي ، حتى أنه
لم يبق في روسيا شخص واحد يرنو إلى الحرية إلا ونقلها وقدمها
لغيره ، وكان الدسميريون في طليعة المقبلين عليها ، والعاملين على
إيصالها إلى كل زاوية من زوايا بلاد الروس الشاسعة الأطراف .
ووضع بوشكين في تلك الأثناء روايته الشعرية (روسلان
ولودميلا) وهي أول أثر أدبي كبير له ، فجاءت لانغوفيا ولاغموض
خالية من أى شعور مصطنع وحساسية مختلقة ، تلك الخصائص
التي اتصف بها الأدب الكلاسيكي المزيف . فرواية (روسلان
ولودميلا) هذه إن دلت على شئء فانما تدل على نبوغ بوشكين
ونزوعه إلى المذهب الواقعي في الأدب ، وبراعته في وصف

الشخصيات الخيالية مع بساطة في اللغة وسلامة في الأسلوب . وما أن صدرت تلك الرواية حتى تخاطفتها الأيدي وسارع الشاعر جو كوفسكي فقدم رسمه لبوشكين وكتب عليه : « إلى التلميذ الفائز من المعلم المغلوب على أمره . بمناسبة اليوم الكبير الذي أنهى فيه رواية (روسلان ولودميلا) » .

إلا أن أنصار المدرسة القديمة في الأدب الروسي حنقوا جداً على بوشكين لإطلاق يده في سرد الأساطير الروسية ، وتبسطه في روى قصص أشخاصها من أمراء الروس وأبطالهم ، ومما قاله ناقد مجلة (الرسول الأوروبي) بهذا الصدد : أن جهد بوشكين في جمع القصص والحكايات الروسية شبيهه بجمع القطع النقدية القديمة . . وان جعل أسافل الناس يتحدثون إلينا عن الأخلاق والآداب ، والمثل العليا ، هو أمر لا يستساغ بقتاً ، فتصوروا بالله عليكم فلاحاً بلحيته الطويلة ، متدثراً بفروته الواسعة ، محتذياً نعلًا من الصوف السميك ، يلج ندوة الأمراء في موسكو ، ويعتلي المنصة ويصرخ في وجه الحضور بأعلى صوته : مرحباً أيها الأولاد ! . . أتسرون حقاً بمنظر هذا المهرج المخادع ؟ . «

كثر اللفظ حول بوشكين في بطرسبورغ ، وانتشرت الشائعات

بصدد قصائده وشذراته ، واشتد الأخذ والرد في روايته (روسلان ولودميلا) فبلغ ذلك كله مسمى القيصر ، وإذ برعود الولايات والمصائب تقصف فوق رأس الشاعر ، فيستدعي للمثول بين يدي حاكم بطرسبورغ العسكري (ميلورادوفتش) الذي بلغه أن مولاه أمره باتخاذ إجراءات صارمة ضده لنشره قصائد مخلة بالأمن ، فأفاده الشاعر أنه أحرق جميع مسودات قصائده الممنوعة ، وأنه لا توجد لدى الحاكم أية بيضة تدينه ، وطلب قلماً وورقاً وكتب نص الإفادة بنفسه . فكان لسلوكه الجريء هذا أن رق له قلب الحاكم العام ، واكتفى بنفيه إلى جنوب روسيا بدلاً من سبيريا ، على أن يكون تحت إشراف الجنرال اينزوف عميد المستعمرين الروس ، المقيم في ايكاترينوسلاف (دنبرو بتروفسك اليوم) . . . وفي السادس من شهر أيار (مايو) سنة ١٨٢٠ كان بوشكين في طريقه إلى المنفى .

بوشكين وبieron

بينما كان الجنرال رايفسكى ، أحد أبطال الحرب الوطنية الروسية لسنة ١٨١٢ ، يقوم هو وأسرته برحلة في جنوب روسيا ، مرّ ببلدة إيكاترينوسلاف فبلغه أن في القشلاق شاعراً منفياً أتى حديثاً من بطرسبورغ ، فدفعه الفضول لمعرفة هذا المنفى فاقتادوه إلى زريبة وضع فيها سرير خشبي ، وقد استلقى عليه بوشكين يعاني آلام حمى الملاريا ، والحرمان من المعالجة الطبية ، والغذاء الضروري ، وما أن وقعت عيننا الجنرال رايفسكى على بوشكين حتى عرفه ، فتأثر لحاله وسعى توأ لدى الجنرال إينزوف سائلاً إياه السماح له بضم بوشكين إلى أسرته وأخذه معه إلى القوقاس والقرم ، وبعد لأي وافق العميد على ذلك فرحل الشاعر مع الجنرال رايفسكى وأسرته المؤلفة من زوجته وابنيه الشابين نيقولا نيقولا يفتش رايفسكى^(٢٠) ، والـكسندر نيقولا يفتش رايفسكى^(٢١) وابنتيه الصبيتين ، وتوجهوا كلهم إلى مناطق المياه المعدنية في القوقاس ، وأقاموا بجوارها إلى أن زالت الحمى عن بوشكين تماماً . وكتب

الشاعر فيما بعد متذكراً ذلك المكان بقوله : « . . وأقمنا مدة
بجوار ينابيع حارة يتصاعد منها البخار ، ، وتسيل مياهها من
منابعها في الجبل في اتجاهات مختلفة تاركة آثاراً بيضاء وحمراء ،
وكنا نغترف الماء الساخن في أوعية خشبية وزجاجية ونشربها ،
فتفعل فينا مفعولاً سحرياً مدهشاً » .

ثم انتقلت أسرة رايشكى مع بوشكين إلى القرم فمكثوا في
بلدة غورزوف مدة ثلاثة أسابيع ، وفي تلك الأثناء أخذ بوشكين
وأبناء رايشكى يدرسون اللغة الانكليزية ويتعرفون إلى مؤلفات
الشاعر الانكليزي بيرون الذى ذاع صيته وقتئذ في جميع أنحاء
أوروبا .

لقد تركت أيام القرم في نفس بوشكين ، وهو في كنف أسرة
رايشكى ، أثراً عميقاً ، فكتب إلى أخيه الأصغر (ليث) يقول :
« إن أسعد فترات حياتى هى التى قضيتها في كنف أسرة
رايشكى ، إننى أحببت فيه رجلاً ذا ذهن نير ، ونفس متواضعة
نبيلة ، إنه صديق أمين ، لطيف المعشر ورب بيت مرح ، أما
ابنه الكبير فمستقبله باهر وابنه الثانى شعلة ذكاء ، أما ابنتاه
فهما اللطف الجسم ، والأخلاق الممتازة ، يضاف إلى هذه

الأسرة الطيبة وجود سماء صافية جميلة ، ومواقع طبيعية رائعة تملأ العين والقلب : جبال شاهقة ، وحدائق غناء ، وبحر صاخب . . «
 وحدث ما لم يتوقعه بوشكين إذ انتقل الجنرال ايننروف المسؤول عن الشاعر ، من ايكاترينوسلاف الى كيشينيف عاصمة بسارابيا التي ضمت وقتئذ الى روسيا ، وكيشينيف هذه مدينة جميلة ، وسكانها مزيج من مختلف الجنسيات بينهم الملافيون ، واليونان والأتراك ، والبلغار ، والروس وغيرهم ، ومن حسن حظ بوشكين أن يكون الجنرال ايننروف مثل الجنرال رايفسكي طيب القلب ، أبوى العاطفة ، فلم يرهق بوشكين في الأعمال الإدارية وكان يكثر من منحه الاجازات ، ولم يحل دونه واشتغاله بالأعمال الأدبية التي يتعشقها . . وبذا قضى بوشكين في كيشينيف حياة متنوعة وعاجفية في آن واحد ، فكانت له وقائع مع بعض الأسر الارستقراطية لم تحل إلا بتدخل الجنرال ايننروف ، ومن طريف ما حدث لبوشكين إبان إقامته في كيشينيف أنه اتصل بجماعة من النور الرحل ، وتجول معهم في جميع أنحاء بسارابيا ، فاقتبس من حياتهم مواد غزيرة لمؤلفاته الشعرية .

لقد قام بوشكين في كيشينيف بقسط أوفر من اللهو والعبث ،
لكنه كان كسابق عاداته لا ينقطع عن المطالعة والكتابة ، وفي جملة
الكتب التي طالعها كتاب (السلام الخالد) للقس سان پيير ،
وقد جاء ذكر هذا الكتاب في رسالة كتبها كاترينا أورلوا ،
إحدى بنات الجنرال رايفسكى ، وزوجة الجنرال أورلوف
حاكم كيشينيف ، قالت في مجرى حديثها عن بوشكين
والكتاب المذكور : « . . فأقبل بوشكين على كتاب
(السلام الخالد) للقس سان پيير وجعله فرساً له لا يتحول عنه
قط . . وخلاصة هذا الكتاب أن الدولة تستحدث دائماً وهي
في استحداثها هذا تثبت أركان السلام العام والطمأنينة الخالدة » .
وإذا كان بوشكين يقيم في كيشينيف كان يتتبع بدقة تامة
مجرى الشؤون الأوروبية ، وتطورات السياسة الروسية الداخلية
ومما ساعده على ذلك أن الجنرال أورلوف حاكم كيشينيف كان
عضواً في جمعية الدسمبريين ، يبت لها الدعاية في وساطة قواته
مباشرة ، وهو الذي عرف الشاعر الى (پيستل^(٢٣)) زعيم الدسمبريين
وقت أن زار تلك المدينة متفقداً منظمات الجنوب ، فذكره

بوشكين فيما بعد قائلاً : « إن يستل هو أحد الأدمغة النادرة التي عرفتها في حياتي » .

كان الدسمبريون في روسيا الجنوبية قد جعلوا من كيشينيف قاعدة لهم ، واعتادوا أن يعقدوا اجتماعاتهم السنوية في قرية كامنكا الواقعة بالقرب من العاصمة بداعي الاحتفال بعيد ميلاد فاسيلي لقو قتش دافيدوف أخ الجنرال رايفسكى من أب ثان ، المقيم في تلك القرية ، وكان بوشكين يتردد على هذه القرية ويشارك في تلك الحفلات السنوية وهو يجهل حقيقة أمرها مع شعوره بأن هناك شيئاً خطيراً يخفيه عنه أصدقاؤه ، وما كان ذلك إلا ليزيده فضولية وتشوقاً لمعرفة ما وراء الائمة ، والواقع أن الدسمبريين كانوا يتحاشون ادخال بوشكين في منظماتهم كي لا يتعرض الى الأخطار المتوقعة وهو كنز الأمة الروسية الذي لا يفرط به قط .

ولعل المذكرات التي وضعها (يا كوشكين) الدسمبري بصدد أحد اجتماعات كامنكا تلقى بعض النور على ما كان يكنه بوشكين من شعور نحو تلك المنظمة التي سجلت لنفسها صفحة خالدة في التاريخ الروسى ، قال يا كوشكين : « . . قضينا الليل

كله في سمر عند فاسيلي لفوفتش ، وكان الجنرال رايفسكى حاضراً ينظر إلى ما يجري حوله نظرة الفاحص المستغرب ، فلم يقتنع مثلاً بأن الصدفة وحدها هي التي قادتني الى تلك القرية ، ولما كان يهمننا معرفة ما إذا كان الجنرال يحيط بأمرنا علماً أم لا قررنا استدراجه للاطلاع على رأيه عن طريق جلسة وهمية نعقدّها للحال . . . وفعلنا أعلننا افتتاح الجلسة وانتخبنا الجنرال رايفسكى رئيساً وبعد لف ودوران في مختلف المواضيع طرح أحدنا السؤال التالي : كم من الفائدة بمكان لو تألفت في روسيا جمعية خفية ؟ . . ثم أبدى رأياً مهلهلاً في الموضوع لا يفهم منه شيئاً ، فبدأت المناقشة واشتد الجدل ، فنهض بوشكين وألقى كلمة حماسية دلل فيها على الفوائد المتوخاة من جمعية خفية تنتشر في كل أنحاء روسيا ، ثم تكلمت أنا في الموضوع وأبدت عكس الرأي . . وإذا بالجنرال رايفسكى رئيس الجلسة يعارضني في رأيي ويعدد الأسباب الموجبة لقيام جمعية خفية ، وأن مستقبليها باهر ، وستلاقى نجاحاً عظيماً . . فقلت له : لا ريب بأنكم غير جادين في وجهة نظركم هذه وتأكيذاً لذلك أطرح عليكم هذا السؤال : لو فرضنا أن جمعية خفية تألفت في هذه الساعة فهل تنضمون

إليها؟.. قال : بكل قواى أنضم إليها .. قلت : إذن ها كم يدي !..
 فديده وصاخنى بحرارة ، غير أننى قهقهت وأفهمته أن حديثنا إن
 هو إلا مجرد مزاح .. فانفجر كل من كان حاضراً بالضحك ما خلا
 بوشكين الذى كانت أمارات الانفعال بادية على محياه لاقتناعه
 بعد سماعه هذا الحوار أن الجمعية الخفية إما أن تكون فى حيز
 الوجود أو أن تأليفها قد تم فى تلك الليلة ، لكنه لم يكذب يسمع
 النتيجة وما تبعها من نكت وضحكات حتى انتصب محمر الوجه
 والدمع يترقرق فى عينيه وقال : إننى الآن أتعس من أى وقت
 مضى .. لقد رأيت حياتى تتسامى ، وشاهدت هدفاً فى الأفق
 أنشده ، وإذا بذلك كله سراب ، ومداعبة مشؤومة » .

واتصل بوشكين فى كيشينيف بالزعيم الوطنى اليونانى ايسيلانتى
 قائد الحركة الثورية اليونانية لأوائل القرن الماضى ، وتصادق
 أيضاً مع حسناء يونانية تدعى (كاليو پوليوخروى) عشيقة
 اللورد بيرون وقت أن كان يقاتل فى صفوف المحاربين من أجل
 استقلال اليونان الوطنى .. فإيسيلانتى من جهة وپوليوخروى
 من جهة أخرى عملا على اقتناع الشاعر بعدالة القضية اليونانية
 فتحمس لها ورغب بالاقتراء بببيرون ، على أن عوامل شتى حالت

دون فراره والالتحاق بالثوريين اليونانيين ، فكتب آنئذ معلقاً على المسألة اليونانية ما يلي : « إن جميع اليونانيين يطمحون إلى تحقيق أمنية واحدة وهي — استقلال الوطن ! . . . ففي كيشينيف وأوديسا يشاهد المرء جماعات من اليونانيين واليونانيات يبيعون كل ما يملكونه بثمان بخس ليبتاعوا به السيوف والبنادق والمسدسات ، وكلهم يتحدث عن ليونيد^(٢٣) وثيميستوكل^(٢٤) هؤلاء هم أتباع ايسيلانتي السعيد » .

ومع اهتمام بوشكين وهو في منفاه في كيشينيف بحركات الدسمبريين الروس ، والثوريين اليونانيين ، كانت لا تفوته أنباء النهضات الرامية إلى الرقي والتقدم في ايطاليا ، واسبانيا ، والمانيا ، وفرنسا ، والبرتغال ، فتشجعه هذه كلها مجتمعة على المضي في اعتقاده بضرورة تحرير الشعب الروسى من ربق الاستبداد القيصرى ، وتحفزه أكثر فأكثر إلى نظم القصائد والشذرات التى يتغزل فيها بالحياة والموت من أجل الاعتاق ، ونخص من هذه القصائد السياسية بالذكر قصيدة (الخنجر) ، غير أن مجرى الحوادث في روسيا ، وأوروبا ، كان على نقىض ما توقعه بوشكين فأصيب لأول مرة في حياته الوطنية بخيبة أمل وغدا يظن بأن

قوى الاستبداد أشد بأساً من قوى الشعب فطلع بمجموعة من القصائد يعكس فيها شعوره هذا وأبرزها قصيدة : يا زارع الحرية في الصحراء ! ...

وبينما هذه الحوادث تتوالى تباعاً قلب الدهر صفحة جديدة في سفر بوشكين إذ تم نقل الشاعر إلى أوديسا ليكون تحت إمرة الحاكم العام الجديد الكونت فورونتسوف ، وهو رجل على نقيض الجنرال اينزوف تماماً ، كان يعتد بوجاهته وأرستقراطيته ، ويعامل من هم في خدمته باحتقار وازدراء طالباً منهم الخنوع والتزلف المطلقين ، ولم يستثن منهم أحداً حتى الشاعر نفسه ، إلا أن بوشكين مع كونه موظفاً بسيطاً لدى الكونت فورونتسوف ، كان على بينة من أنه شاعر عظيم ، وأن عليه أن يعتز أيضاً بأسرته التي حملت ألقاب الشرف مدة ستائة سنة ليقاوم سلطان الوجاهة والثروة في بيئة لا تقيم لسلطان الشعر حرمة وكرامة .

توترت العلاقات بين بوشكين وفورونتسوف ، ومما زاد الطين بلة أن الحاكم أخذ يتوجس خيفة من الشاعر على زوجته الحسنة (اليزابيت كساقر يثنا) ، فنقم عليه ، وعمل كل ما في وسعه

ليحط من مكانته ، حتى إنه أرسله مرة ليكافح الجراد مع رهط من العمال وطلب منه أن يقدم تقريراً عن أعماله في هذه الحملة .. وكانت الحملة ، وكان التقرير في هذه الكلمات :

« حضرة الكونت فورنتسوف .

« طارت الجرادة ثم هبطت ، ثم طارت ثم هبطت ، ثم أكلت ، ثم طارت ! ... مع الاحترام ... بوشكين »

وكان هذا « التقرير » التهمى فاتحة لحملات شعرية شنها الشاعر على الكونت فضاق به هذا ذرعاً وكتب إلى بطرسبورغ يطلب نقل بوشكين إلى مكان آخر ، وحدث في تلك الآونة أن التقطت السلطات الروسية رسالة لبوشكين يشرح فيها رأياً في عدم خلود الروح اقتبسه من سائح انكليزي تعرف اليه صدفة في أوديسا ، وما أن اطلع القيصر الكسندر الأول على هذه الرسالة ، حتى أسرع في طلب الكونت فورنتسوف وأصدر أمره باخراج بوشكين من الخدمة ، ونفيه إلى قرية ميخايلوفسك ، حيث وضعه تحت إشراف المدينة والكنيسة فيها .

لم يدع بوشكين أيام منفاه في الجنوب تذهب هدرًا ، إذ استغلها للإنتاج الأدبي أحسن الاستغلال ، فوضع الكثير من

القصائد الغنائية وأبرزها : (الأسير القوقازى) ، و (نافورة باغشى سراى) و (النور) ، وشرع فى كتابة روايته الشعرية الكبرى (أوجين أونيجين) ونظم قصيدة (غابريليادا) وهى قصيدة هزلية مطولة لم يسمح بنشرها إلا بعد مرور قرن من الزمن لما كانت تنطوى عليه من آراء هرطقية .

وأولع بوشكين فى منفاه أيضاً بمطالعة مؤلفات بيرون ونعته فى إحدى قصائده بسلطان فكر جيله الذى لا ينافسه منافس ، وقد تأثر به إلى حد كبير كما تأثر به الأدب الأوروبى بأسره فى ذلك الحين .

لقد أعرب بيرون فى شعره عن خيبة الآمال التى عقدها خيرة رجال أوروبا ونسائها على تحسين الحالة الاجتماعية إثر الثورة الفرنسية الكبرى ، كما عكس فى شعره مظاهر الاحتجاج الصارخ على الطغيان الذى ساد القارة الأوروبية فى الثلث الأول من القرن التاسع عشر ، ودافع عن حقوق الفرد ، وكان يعطف العطف كله على شعوب شرق أوروبا فأكثر من وصف آدابها وعاداتها وتقاليدها ، وأيد نضال الشعوب المضطهدة منها ، وكفى به فخراً أنه استشهد فى سبيل حرية اليونان واستقلالها .

غير أن احتجاج بيرون على الطغيان طُبع بطابع الغموض والإيهام ، فبدلاً من أن ينتقد مظاهر تاريخية معينة من مظاهر الجور والإرهاب ، جعل الفرد ضد المجتمع جملة ، والفردية حسب رأيه تحمل لواء الحرية بينما المجتمع يمثل الظلم والاستبداد . . فنزوع بيرون هذا خاطيء من أساسه وقد أدى به إلى الوقوع في الفردية الضيقة فجاء أبطاله متكبرين أنانيين ، يستصغرون غيرهم من الناس ، ويشعرون بميزة ترفعهم عنهم . . لقد كان بيرون متشامماً ويعتقد باستحالة تسوية الخلاف بين الفرد والمجتمع تسوية مرضية ، وبالتالي استحالة بلوغ السعادة في الحياة الدنيا .

أما بوشكين فقد أيقن الناحية الاحتجاجية التي اتسم بها شعر بيرون ، ويظهر ذلك واضحاً من قصائده المستهله من حياة أهل القوقاس ، والقرم ، والمولداف ، فكان أبطاله كذلك معترزين بأنفسهم ، منعزلين في حياتهم ، يأسين من وسطهم . لكن الفرق بين بوشكين وبيرون أن الشاعر الروسي متفائل يرفع عقيرته محتجاً على المساوىء الاجتماعية باسم السعادة للناس أجمعين ، وما أنانية أبطاله اليأسين إلا أنانية سلبية لا إيجابية . ونضرب مثلاً على ذلك قصيدته (النور) التي حمل فيها على بطله أليكو

متهمًا إياه بأنه يريد الحرية لنفسه فقط ، فـ (أليكو) هذا أناني
إلا أن بوشكين لم يغتفر له أنانيته وعنفه عليها .

والشاعر الروسي يستنكر أية سعادة للفرد إذا كانت قائمة على
حساب شقاء غيره من الأفراد ، كما أنه يعترف بوجود العالم الواقعي
المستقل عن مدارك الناس ، والذي يفعل فيهم فعله من حيث
يدرون أو لا يدرون . ويقول أيضاً أن كل إنسان يشغل المكان
الخاص له في المجتمع ، وأن لا سعادة للمرء إن لم يكن مندمجاً
مع غيره من البشر ، وفي هذا المضمار يميل بوشكين إلى شكسبير
الذي يقر قيم العالم الخارجي ، ويفضله على بيرون .

كتب بوشكين مرة إلى الكسندر نيقولايفتش رايفسكى
يبدى له رأيه في شكسبير فقال : « أى إنسان شكسبير هذا ؟ .
لقد قرأت مؤلفاته كلها فكدت أفقد صوابي . . إن بيرون صغير
إذا ما قورن بشكسبير ، والسبب في ذلك أن بيرون لا يملك
سوى سجيته الخاصة فهو يوزعها بين أبطاله كما يشاء ، فمنهم من
يخلع عليه الاعتزاز ، ومنهم من ييث فيه الكراهية ، ومنهم من
يطبعه بطابع السوداوية وهلم . . أفهذه هي المآسى ؟ .. أنصحك
بأن تقرأ شكسبير ! » .

وصفوة القول إذا ما طالعنا قصائد بوشكين الرومانطيقية البيرونية التي نظمها في جنوب روسيا نراها تمتاز على شعر بيرون بكونها تقوم على الإقرار بقيم كل إنسان على حدة ، وتهتم بالجموع كما تهتم بالفرد ، وتستمد مادتها من حقائق الحياة المحيطة .

بوشكين والمذاهب الأدبية

يقع إقليم سكوف على بُعد مئتي كيلومتر من جنوب لننغراد (بطرسبورغ سابقاً) الغربى ، وهو إقليم تكثر فيه الأحرار ، والمستنقعات ، والأراضي الزراعية ، وتنتشر فيه القرى الروسية المبنية بيوتها من قطع الأشجار الضخمة المثبتة بعضها إلى بعض بالمسامير الخشبية ، وحبال الليف ، في هذه المنطقة تقوم قرية ميخايلوفسك ، وهى عبارة عن مجموعة من البيوت القروية ، ومصايف لبعض الملاكين ، وكنيسة يسكن في أطرافها قسيس القرية وبعض المتعبدين والمتعبدات .

فالى هذه القرية نفى الشاعر ، وقد أمر حاكم سكوف أن يقيم بوشكين في بيت أبيه وأن يوضع تحت إشراف سلطتين مدنية وكنيسية ، الأولى يتولاها أبوه ، والثانية يتولاها قسيس القرية .

وفي التاسع من شهر آب (أغسطس) سنة ١٨٢٤ هبط المنفى
القرية فوجد أسرته المصطافة بانتظاره ، وقد ابتهجت بلقائه بعد
طول الغياب ، فأقامت له الأفراح والليالي الملاح ، ولكن ماهي
إلا أسابيع حتى انعكست الآية وأخذ الشاعر يحس شيئاً فشيئاً
بمضايقة أبيه له ، وقد بلغت العلاقات فيما بينهما من سوء التفاهم
والتوتر إلى درجة حادة جداً جعلت الشاعر يفكر بتوجيه طلب إلى
السلطات يسألها فيه أن تزجه في برج قلعة يسكوف بدلاً من
إبقائه تحت إشراف أبيه ومضايقاته المتواصلة ، ولحسن حظ
بوشكين ان انتهت فترة الاضطياف ورحل والده مع أسرته إلى
بطرسبورغ تاركاً له مربيته (آرينا روديونوفا) ، ومكلفاً ملاً كاً
آخر أمر مراقبة حركاته وسكناته .

كان لا انتقال بوشكين الفجائي إلى ميخايلوفسك ما يبعث في
نفسه الآلام المبرحة ، أين هو من جنوب روسيا حيث الطبيعة
الخلابة ، والحياة السياسية الصاخبة ؟ .. ها هو يرى نفسه
سجيناً في قرية نائية تغمرها الثلوج أشهراً عديدة من أشهر السنة ،
فينشل فيها كل معالم الحياة شللاً تاماً فلا يشاهد المرء فيها إلا
أشباحاً بيضاء تترك هنا وهناك ، ولا يسمع إلا رنين أجراس

خيمول الزخافات ، وقرع ناقوس الكنيسة يدعو الحزاني والمتضجرين إلى الصلاة .

كتب بوشكين يصف عزله هذه فقال : « سامة ضارية تلتهم كياني التافه هذا ! . فكل ما يذكركني بالبحر يبعث في الأحزان ، وخرير الفوارة يجلب لي الآلام ، أما السماء الصافية فتسيل الدمع من مآقي . السماء في ميخايلوفسك كالحة ، وقررها كالشلم تماماً ، وفيما يختص بجيرانى فقد ابتعدت عنهم منذ البدء مع أننى أتمتع عندهم بسمعة (أوجين أونيجين) - بطل روايته الشعرية الكبرى - ، أننى نبي في موطنى ! . غير أن الضجر كاد يقتلنى ، وإن ربة الشعر تفتقر إلى الحرارة ، فالقصائد لا تسير قدماً ! » .

وبلغه فى تلك الأثناء نبأ الفيضان الكبير فى بطرسبورغ لسنة ١٨٢٤ فاضطرب له كثيراً ، وكتب لأخيه (ليث) يقول : « لقد تأملت لهذا النبأ ، ولك أن تساهم فى مساعدة المنكوبين مما تجمع لديك من بيع كتاب (أونيجين) وأرجو أن يكون ذلك دون ضجة لا شفوية ولا خطية » .

إنها لصورة رائعة حقاً ، فالشاعر بالرغم مما كان يعانىه من نكبة

النفى ، ووحشة العزلة ، والانقطاع عن العالم الخارجى ، لم ينس مواطنيه الذين نكبوا بالغيضان فسأل أخاه أن يساهم فى أسعافهم بماله الذى جناه من قلمه والذى هو فى أمس الحاجة إليه .

وإذ كان الشاعر يعانى آلام السجن المزدوج ، سجن القرية ، وسجن الثلوج ، فاجأه صديقه دلتيج وبوشين بزيارة طار قلبه لهما فرحاً ، وانفجرت أساريره ، وشعر بأن حملاً ثقيلاً قد زال عن صدره .

وقد وصف بوشين زيارته لبوشكين هذه فى مذكراته فقال :
« سارت بنا الزحافات الساعات الطوال فى صحراء من الثلوج ، ثم أشرفنا على غابة فاجتزناها ، ثم مررنا بهضاب بيضاء ، ودخلنا فى طرق متعرجة ملتوية ، ثم عطفنا عطفة شبه مستديرة وعلى حين غرة اقتحمت خيول الزحافات بوابة بيت بوشكين بعنف واصطدمت بعتبة الباب الداخلى ورسى ، ولشدة عجبى رأيت بوشكين ، وقد هالته تلك الصدمة ، يقفز إلى الباب وهو فى قيص النوم ، شبه عارى الجسم ، حافى القدمين ، فلم يشعر بوطأة البرد الثلجى ، كما أننى سهوت عن دثره بمعطى ، فتعانقنا والثلوج تتساقط علينا بكثرة ، فسالت دموع الفرح ، وطال العتاب ،

ولم ننتبه إلى ما نحن عليه إلا بعد أن أخذت مربيته العجوز
 آرينا تدفعنا إلى الداخل حيث الموقد والشاي . . لقد أقمنا في
 ضيافة بوشكين أياماً تسامرنا فيها وتبادلنا الذكريات ، واستمعنا
 إلى نتاجه الجديد ، وتركناه واعدن إياه بالسعى لدى القيصر
 لإلغاء أمر نفيه .

لقد أبدى بوشكين إبان إقامته في ميخايلوفسك اهتماماً عظيماً
 بالتصانيف الشعبية الروسية ، وبكلمان الفلاحين الروس ، فكان
 يستمع إلى أغاني القرية وأقاصيصها ويتدثر بلباس الفلاحين في
 أيام الآحاد ، ويختلط بهم في الأسواق والكنائس ، ويتحدث
 اليهم ، ويصغى إلى لهجاتهم ، ويستفسر عن أحوالهم ومعاشرهم
 غير أنه لاستنكار أعيان البلدة سلوكه المستغرب هذا :

ومع أن الحياة في ميخايلوفسك كانت مجلبة للسامة والضجر ،
 لم يقعد الشاعر عن النظم والتأليف يوماً واحداً لاعتباره العمل
 الفكرى ملاذاً يهرع إليه تخلصاً من وطأة الأحزان المستولية
 على نفسه .

استحضر بوشكين كتباً كثيرة إلى القرية ، وكان يتتبع
 المناقشات الأدبية التي تدور في العاصمة بانتباه زائد ، فيعلق عليها

في رسائله إلى أصدقائه ، وفي تلك القرية أتم وضع قصيدته
 (النور) ، وكتب أربعة فصول من روايته الشعرية المسرحية
 الكبرى (أوجين أونيفين) ، وألف مأساة (بدريس غودونوف)
 التاريخية ، ونظم قصيدة (الغراف نولين) الهزلية ، وقد نما
 الشاعر في جميع هذه الروايات والقصائد منحى واقعياً جاعلاً رائده
 وصف الحقائق المنبعثة من صميم الحياة ، ففي (أوجين أونيفين)
 قدم للقراء صوراً من حياة أشرف روسيا ، وأبرز وجهاتها ،
 ونمط معيشتهم وآدابهم ، وما اتسمت به الطبيعة الروسية جملة
 كان بوشكين أثناء إقامته في قرية ميخايلوفسك يأخذ قسطه
 في جميع المناقشات الأدبية التي تدور في مجلات موسكو وبترسبورغ
 حول مختلف الاتجاهات في الأدب من كلاسيكي ، وعاطفي
 وواقعي ، وكان يتحمس للاتجاه العاطفي الرومانطيقي معتبراً
 إياه بأنه ينفي سائر الأساليب الضيقة وغير الطبيعية التي يقوم
 عليها الأدب الكلاسيكي المزيف ، ويمنح الكاتب حق التصرف
 بالفكرة الموضوعة أمامه ، ويطلق يده في معالجتها وفاقاً لما توحى به
 مشاعر النفس الحرة ، ومع تحمس الشاعر للعاطفية ومزاياها رأى
 فيها عيباً جوهرياً أبعد عنها وقر به من المذهب الواقعي ، فالعاطفية

تتمسك بالمثل العليا الروحية المجردة، وتتعلق بأهداب الخيال، محتقرة الحياة المادية العادية، إنها توجد لذاتها عالماً مختلفاً طويلاً مدعية أنه أسمى من الحقائق الزمنية، وبذا تبتعد إلى حد ما عن طبيعتي الإنسان والبيئة، لقد لمس بوشكين هذا التناقض في الاتجاه العاطفي ومع ذلك عمل بمقتضاه في بعض تأليفه لاعتقاده بأنه يساعد على التحرر من قواعد قديمة جامدة مزيفة تشدد الخناق على النفس المبدعة، ولا تفسح المجال للفن بأن يعكس في ذاته حقائق الحاضر والماضي، فالمذهب العاطفي في الأدب إن هو إلا خطوة أولى نحو المذهب الواقعي.

لقد كان بوشكين يعتقد أن المسرحيات الفرنسية البلاطية، مسرحيات كورني وراسين، هي ضرب من العبث لا تتلاءم وطبيعة المسرح الروسي، وأن المأسى التاريخية الحققة هي التي لا تقتصر على تصوير النزعات الانسانية فحسب، بل تجعل الشعب الشخص الأول في الرواية وتعكس مراحل حياته ومصائرهم ولما كان الشاعر يرمى بذلك إلى إحداث تحول جوهري في المسرحيات الروسية، وانقلاب في المسرح الروسي كله، ولّى وجهه شطر شكسبير إذ وجد في مسرحياته الشيء الكثير من

الانطلاق ، والإخلاص للحقائق ، والأهداف السامية .

كتب بوشكين إثر وضعه رواية (بوريس غودونوف) :
 « لقد هدتني دراسة شكسبير ، وكارامزين في كتابه الكبير
 « الدولة الروسية » وأسفارنا القديمة إلى وضع مسرحيات للتاريخ
 الحديث ، وقد شرعت بهذا العمل مقتبساً عن شكسبير انطلاقه
 وتصويره الموقف للأمزجة البشرية ، وتوزيعه الأدوار على
 أشخاصه ببساطة بعيدة عن كل تكلف . ومتبعاً كارامزين في
 معالجة الوقائع وترتيبها وتفنيدها أما الأسفار والوثائق فإنني حاولت
 بواسطتها الوقوف على لغة أهل تلك الأيام ونمط تفكيرهم . . . وقد
 وجدت مصادر هذه الأبواب الثلاثة جمة والله الحمد ، فهل
 أحسنت الاستفادة منها يا ترى ؟ . . لا أدري ! . . وعلى كل
 إنني بذلت مجهوداً كبيراً ورائدى الغيرة والإخلاص ، وأقر
 صادقاً أن فشل مسرحياتي لما يجلب لى الأحزان ، لأننى أعتقد
 جازماً أن مسرحنا الروسى يتلاءم ومسرحيات شكسبير الشعبية
 ولا يتلاءم ومآسى راسين القائمة على تصوير عادات البلاط الملكى
 ونطاقه الارستقراطى الضيق » .

توخى الشاعر فى مسرحيته (بوريس غودونوف) الدقة فى

درس التاريخ الروسى ، والتحقق من صحة الحوادث الغابرة ،
وقد جعل هدفه فى دراسته لاختبارات الماضى الدامية استخلاص
العبر الحاضرة ، فكان موضوع مسرحيته هذه الشعب والسلطة ،
وخلص منها بقوله إن السلطة لن تكون مهيبة الجانب إن لم تعتمد
على رأى العام .

وفى أواخر شهر تشرين الثانى (نوفمبر) سنة ١٨٢٥ بلغت
بوشكين شائعات متقطعة مفادها أن القيصر الكسندر الأول
توفى فجأة وهو فى طريقه من القرم إلى تاجنروغ ، وأن أخاه
قسطنطين بافلوفتش اعتلى العرش مكانه ، ولكنه ما لبث أن
تخلى عنه إلى أخيه نيقولا . لقد هزت هذه الشائعات نفس الشاعر
فارتاح لها ، وراح يعد نفسه بالحرية العاجلة ، لأن موت القيصر
المستبد ، وقيام قيصر جديد ، لا بد أن تعقبه موجة من الحريات
ولا يعقل أن يكون نيقولا الأول قد جبل من نفس الطينة
الجائرة التى جبل منها سلفه .

ولم يكذب نيقولا الأول يعتلى العرش حتى هبت ثورة الدسمبريين
فى يوم مبايعته ، أى فى الرابع عشر من شهر كانون الأول

(ديسمبر) سنة ١٨٢٥ ، نخرج الجمهور المستاء بصحبة الوحدات العسكرية المتمردة إلى ساحة مجلس الشيوخ في بطرسبورغ ونادى الجميع بالحريات الدستورية ، غير أن القيصر الجديد لم يأبه لهذه الحركة الشعبية ، وهى أول حركة ديمقراطية روسية منظمة ، فدشن عهده بأن أمر باطلاق النار على المتمردين ، واعتقل عدداً كبيراً من زعماء الحركة وفي طليعتهم بيستل ، وبستوجيف ، وموارثيف ، ولونين ، والأمير فولكونسكى ، وصديق بوشكين منذ معهد القرية القيصرية بوشين ، وكوخليبيكر ، وبعد تحقيقات دامت عشرة أشهر أصدر القيصر أمراً بتاريخ ١٣ تموز (يوليو) سنة ١٨٢٦ يقضى بشنق خمسة من زعماء المؤامرة وهم : بيستل ، وريليف^(٢٥) ، وبستوجيف ، وموارثيف ، وكاخوفسكى ، ونفى مئة وعشرين ديسمبريا آخرين إلى مجاهل سيبيريا .

طارت أتباء تلك الحوادث التاريخية إلى عموم أنحاء روسيا ، وعلم بها بوشكين فتحمس لها ، وعقد النية على أن يخرق أمر الإقامة الجبرية ويرحل إلى بطرسبورغ ليساهم فى العمل الوطنى الكبير ، لكنه أعمال الفكر فى الموضوع فعدل عن الذهاب وظل يستشف أنباء الدسمبريين ، وقد هاله خبر إعدام فريق

من أصدقائه ، فكتب في رسالة يقول : « المشنوقون مشنوقون ،
وأما إرسال مئة وعشرين شخصاً من الأصدقاء والإخوان إلى
سيبيريا فهو أمر مريع حقاً » .

ومع ذلك كله لم ييأس الشاعر من عفو القيصر عنه على اعتبار
أنه لم يشترك في الانقلاب الدموي ، فكتب إلى جماعة من
معارفه يسألهم التوسط لدى السلطات ذات الاختصاص ، كما
كتب إلى القيصر ذاته يرجوه العفو .

والواقع أن بوشكين لم يكن مسجلاً في قائمة المتآمرين ، وأن
قصائده وشذراته الشعرية السياسية التي عثرت عليها السلطة
بين أوراق المتهمين لم تكن لتؤلف تهمته بالعمل الانقلابي المباشر ،
غير أن القيصر تريت في العفو عن الشاعر وأوعز إلى عين من
عيونه يدعى (بوشنيك) بأن يذهب إلى منطقة بسكوف بوصفه
« عالماً نباتياً » ويجري تحقيقاً دقيقاً فيما إذا كان لبوشكين أي
ضلع في حركة الدمبريين وفي غيرها من حركات العصيان بين
الفلاحين ، ولسوء حظ « العالم النباتي » أنه لم يعثر على أية بينة
تدين بوشكين فعاد إلى مولاه صفر اليدين . . وهنا قرأ
نيقولا الأول على أن يسلك مع أسيره مسلكاً خاصاً يقوم على

اللين والمراوغة ، فأمر بنقله الى موسكو في يوم الاحتفال بالذكورية الثانية لتتويجه ، وفي الرابع عشر من شهر ايلول (سبتمبر) سنة ١٨٢٦ كان الشاعر في موسكو ، وقد جرى به على عجل من ميخايلوفسك لمقابلة القيصر .

قيصر يقاوم شاعراً

اعتزم نيقولا الأول ترويض بوشكين وجعله شاعر البلاط الأول يقول القريض متغنياً بالسلطات الرسمية ، خالفاً عليها آيات الثناء والتمجيد ، وقد ظهرت هذه النية واضحة كل الوضوح في رسالة بعث بها القيصر الى رئيس دركه (بنكندورف) قال فيها « أن بوشكين شاب مهذب فاذا كان بحيز المستطاع توجيهه قلمه وأحاديثه توجيهاً حكومياً فالفائدة من ذلك ستكون بلا ريب كبيرة ! »

وهكذا اقتيد الشاعر حال وصوله موسكو الى القيصر قبل أن يتمكن من التزيين وازالة ما علق به من وعشاء السفر ، فاستقبله عاهل الروس بابتسامة عريضة هاشاً باشاً ، وأجلسه الى جانبه وسأله فجأة : ماذا فعلت لو كنت في بطرسبورغ في ١٤ ديسمبر

من السنة الماضية ؟ . . فأجابه الشاعر على الفور : لو كنت في العاصمة وقتئذ لانضمت إلى العصاة بلا تردد ! . ، ففقهه القيصر لدى سماعه هذه العبارة وربت على كتفه ، ثم استرسل في التحدث الى جليسه مدخلاً في روعه أنه سينتهج سياسة تهذيبية جديدة ، وأن القسوة التي استعملها مع الدسمبريين لا تشكل منهجاً دائماً وما هي إلا حادث عرضي اقتضته ظروف القاهرة ، وأن على الشاعر أن يغير موقفه السياسي ويعمل على مساعدته في مهمته التربوية ، واعدأ إياه بأنه سيتولى بذاته أمر مراقبة كل ما يكتبه وينظمه فينقذه بذلك من مضايقات الدوائر الحكومية المختلفة .

ارتاح الشاعر للنتيجة التي أسفرت عنها هذه « المفاوضات » واعتبرها مظهراً من مظاهر العطف القيصرى ، وبدء تحول في سياسة نقولا الأول العامة ، فخرج من لدنه وكله أمل ورجاء . وبعد دقائق معدودات من تلك المقابلة قال عاهل الروس للكونت (بلودوف) ، وهو أحد حاشيته المقر بين : لقد تحدثت الآن إلى أثقف رجل في روسيا ! .

لكن أين للقيصر أن يتفاهم مع الشاعر ويثق به ؟ . . فقد

ظلت الشكوك والظنون تنتاب نيقولا الأول في إخلاص بوشكين له فعمد إلى اختباره وسبر غوره بأن طلب منه وضع رسالة في التربية القومية تكون بمثابة منهج للشبيبة الروسية الناشئة . . فرضخ الشاعر للأمر ووضع رسالته هذه في عبارات مترددة توخى فيها ألا يغضب القيصر من جهة ، وألا يجعلها تتنافى مع وجهة نظره الخاصة من جهة أخرى ، فارتأى فيها أن تكون الثقافة أساساً للتربية القومية في حين أن القيصر كان يرى غير هذا الرأي ، وقد أعرب عنه في كتاب خاص بعث به إلى بوشكين بواسطة رئيس دركه بنكندورف ، وهذا نصه : « .. إن قولك يجعل الثقافة والنبوغ قاعدتين أساسيتين للتقدم هو قول يؤلف خطراً للأمن العام ، ويكون تهمة ربما تقودك إلى حفة الهاوية ، وتنتهى بك إلى حيث انتهى الأمر بتلك القافلة من الشباب المغرورين . . وعليك أن تفهم أن السلوك الحسن ، والخدمة المتواصلة المدعومة بالطاعة والإخلاص ، هما أفضل من الثقافة وتنوير الأذهان المجردتين .. فالشاب المطيع هو النموذج الصحيح للتربية القومية ، وليس ذلك الشاب الذى تتقاذفه أمواج العلوم والثقافات ، فعلى هذه المبادئ يجب أن تقوم التربية القومية ،

ولا إخالك إلا فهمت قصدى وأنت الشاعر اللبيب ! » .

ولمح بوشكين في رسالته هذه بكلمة عن الدسمبريين وفشلهم قال فيها : « ولعل أولئك الناس الذين يشاطرون الدسمبريين أفكارهم قد تيقنوا الآن أن الحكومة قوية وأن قوتها هذه مادية محسوسة » غير أن نيقولا الأول لم يرتح أيضاً لهذه العبارة التي يدعو فيها الشاعر الناس إلى الخضوع للقيصر لا لسبب آخر سوى أنه يحتكر وسائل القوة والبطش في حين أنهم عزل منها .

كان الشاعر في حيرة من أمره ، لا يدرى كيف يوفق بين نزوعه إلى الحرية والتقدم ، وريبته في حسن نوايا القيصر ، لكنه وهو الرجل المثقف نظر إلى الوضع نظرة عملية ، ووازن العلاقات القائمة بين القوى المتطاحنة ، فوجد أن من الأجدى الإذعان للعاهل الروسى ضمن شروط معينة ، مضيفاً إلى ذلك أن بمقدوره كشاعر له مقامه في الهيئة الاجتماعية الروسية أن يؤثر في نفسية القيصر ويوجهه في سبيل الخير والصالح العام ، وقد عمد بوشكين بالفعل إلى نظم قصيدة في نيقولا الأول تحدث فيها عن الإخلاص للحقيقة ، ونشر المعارف ، وتلطيف الطباع ، ورفع لواء العدالة ، واحترام الوطن ، وختمها بالثناء عليه وتشبيهه إياه ببطرس الأكبر

لم يكن بوشكين سياسياً وإنما شاعراً تتحكم فيه الأهواء
والعواطف ، فتقرب من القيصر ولسان حاله يقول : يجدر بي أن
أقف إلى جانب القيصر ، وأنا الشاعر الداعي إلى التقدم ، من
أن يحيط به غيرى من النفعيين ويوجهوه أسوأ التوجيه .
وكان لهذه العلاقات الجديدة بين الشاعر والقيصر أن أثارت
عليه بعض النقد ، فمنهم من اتهمه بأنه خان مثله العليا ، ومنهم
من قال أنه يتمسح بأعتاب القيصر ويتملقه ، فرد بوشكين على
هذه التهم بقصيدة أخرى دلل فيها على أنه لا يداهن إذا ما أثني
على القيصر وإنما يعرب عن شعور ذاتي عميق .
وقد لجأ الشاعر للدفاع عن نفسه إلى الإكثار من التحدث
عن القيصر بين حاشيته ، وفي الأندية العليا ، بل في كل مكان ،
بلغه غير حكومية ، وكان غالباً ما يقارن نفسه بالقيصر مباشرة ،
ملحاً إلى أنه يقف وإياه على درجة متساوية في العظمة والسلطان .
ولشد دهشة الشاعر أن القيصر لم يسمح له بنشر القصيدة التي
نظمها من أجله لأنه لمس فيها آراء لا تتفق ومبدأ الخضوع للشرطي
للقيصر خليفة الله على الأرض ، ثم وبخه على روح الاعتزاز التي
يبديها في مختلف الأوساط واضعاً نفسه في مصاف القياصرة .

وحدث وقتئذ أن وضع بوشكين قصيدة في (أندريه شينه) الشاعر الفرنسي الذي أعدم إبان الثورة الفرنسية الكبرى ، فما أن ذاعت تلك القصيدة حتى اعتبرتها السلطات الروسية قصيدة رمزية تعطف ضمناً على الدسمبريين وتنتقد بطش نيقولا الأول بهم فجاءوا ببوشكين واستجوبوه وطاقوا به من دائرة إلى أخرى ، ثم أطلقوا سراحه واكتفوا بضرب نطاق شديد من المراقبة عليه وحرموه حرية التنقل دون إذن خاص من رئيس الدرك القيصرى بنكندورف .

وتبع هذا الحادث حادثاً آخر أزعج الشاعر وجعله يتطلع إلى مستقبله الأدبى بشيء من التشاؤم ، ومفاد الأمر أن الشاعر كان يعقد فى بيته وبيوت معارفه وأصدقائه اجتماعات أدبية ، يقرأ عليهم فيها فصولاً من روايته الشعرية الجديدة (بوريس غودونوف) التى لم تكن المراقبة قد أقرتها بعد ، فلما بلغت هذه الاجتماعات القيصر استاء جداً وبعث فى طلب بوشكين وأنبه على ذلك أشد التأنيب ولم يتركه قبل أن أخذ منه تعهداً بالآ يقرأ شيئاً من مؤلفاته الجديدة فى المستقبل على أحد ، واقترح عليه أن يحوّر الفكرة التى قامت عليها رواية (بوريس غودونوف) ،

فكرة الشعب والحكومة ، إلى فكرة غرامية مجردة .

ولم تمض فترة قصيرة من الزمن حتى وقعت في أيدي السلطات القيصريّة قصيدة جديدة لبوشكين وهي قصيدة (غابريل يادا) الهرطقة النزعة ، فاحمرت العيون على الشاعر ، وانعقدت سحب قائمة فوق رأسه ، فترأت له القيود ومنافى سيبيريا ، وبعد استجواب وتحقيق عنيفين أقر الشاعر بذنبه ، واستنكر ما جاء في (غابريل يادا) برسالة لا زال نصها مجهولاً بعث بها إلى القيصر فعفا عنه مقابل تعهدات جديدة أخذها عليه .

لم تفتقر المراقبة القيصريّة تشدّد النكير على بوشكين وعلى مراسلاته ، واتصالاته ، وكان جواسيس القيصر يرفعون لمولاهم دائماً تقارير سرية يطلعونه فيها على أنباء الشاعر ، وقد جاء في تقرير رفعه ضابط البوليس مولر إلى رئاسة بوليس موسكو بتاريخ عشرين أيلول (سبتمبر) سنة ١٨٢٩ ما يلي : « سرى . . إلى الشرف أن أحيطكم علماً بأن الشاعر المعروف الكسندر بوشكين الموظف من الدرجة العاشرة المعتزل الخدمة جاء موسكو ونزل في فندق انكلترا الواقع في قسم تفرسكويه ، الحى الأول ، وقد فرضت عليه رقابة شديدة » .

والواقع أن بوشكين كان في موسكو بذلك التاريخ وقد أتاها طالباً يد أجمل فتيات الروس وهي نتاليا نيقولايفنا غونتشاروفا ،
التي غدت فيما بعد زوجة له ، غير أن أهلها رفضوا في بادئ الأمر
طلب الشاعر فتألم لهذا الرفض الذي جاء في فترة اضطربت فيها
حالته السياسية والاجتماعية ، فزادت همومه هموماً ، ورأى أن
الخروج الوحيد من هذه الأزمة هو في مغادرة البلاد بأقرب فرصة
ممكنة فسأل القيصر الإذن بالسفر إما إلى أوروبا وإما إلى الصين
وكان جواب العاهل الروسي قاسياً مهيناً ، ولما ضاقت بالشاعر
السبل رحل إلى القوقاس مع الجيش الروسي (إذ كانت روسيا
وقمتئذ في حرب مع تركيا) دون أن يعلم أحد بأمر سفرته هذه
فحنق القيصر عليه أشد الحنق ، وأمر بنكندورف أن يثير على
الشاعر حملة شعواء ، وأن يبلغه رسالة يسأله فيها من الذي سمح له
بخرق تعهده ؟ .. فأذعن رئيس الدرك القيصرى لأمر مولاه
وأرسل لبوشكين الرسالة التالية : « بلغ صاحب الجلالة الامبراطور
أنكم سافرتم إلى القوقاس ، وعرجتم على أرضروم ، وقد أمرني
أن أستوضح منكم من الذي أذن لكم القيام بهذه الرحلة ؟ .. وإنني
أرجوكم بدوري أن تطلعوني على الدوافع التي حدثت بكم ألا تتقيدوا

بالوعد الذى قطعتموه على أنفسكم بعدم مغادرة العاصمة قبل الحصول على إذن رسمى ؟ . . . » .

وما أن عاد بوشكين إلى بطرسبورغ حتى هبت الزوابع في وجهه ، وكانت الحرب التى أشهرها نيقولا الأول وبنكندورف عليه بمثابة إشارة للصحف والمجلات الحكومية لكي تشرع بشن حملات عنيفة على أدبه وشخصه .

فى سنة ١٨٣٠ أصدر الشاعر أنطون دلقيج زميل بوشكين فى معهد القرية القيصرية (الصحيفة الأدبية البطربرورية) وكان من البديهى أن يسأل زميله المعونة فى تحريرها ، فتعاقدا معاً وأخرجاها فى حلة قشبية طافحة بالمواد من أدب وعلم وشعر ، وكان لصدورها رنة استحسان فى جميع الأوساط الروسية التقدمية ، وسرعان ما التفت حولها عدد كبير من الأصدقاء والمناصرين . وكانت تصدر فى بطرسبورغ فى تلك الآونة أيضاً مجلة (نحلة الشمال) الأدبية ، وصاحبها يدعى (بولغارين) وهو رجل تمام حسود ، اعتاد احتكار نقد الحياة الأدبية الروسية وتقرىظ الكتب وسواها من المطبوعات ، فيستغلها استغلالاً نفعياً يدر عليه الأرباح الطائلة ، فلما صدرت (الصحيفة الأدبية) أكلته

الغيرة ورأى فيها منافساً خطراً لا يجوز السكوت عنه مطلقاً .
 وكان بولغارين هذا على صلة وثيقة برئيس الدرك بنكندورف
 يروج له الدعايات في جميع المناسبات ، ويخلع عليه ألقاب الشرف
 جزافاً ، وإذ كان في زيارته مرة انتقل بهما الحديث إلى بوشكين
 و (الصحيفة الأدبية) فاستشف بولغارين من خلال هذا
 الحديث أن القيصر و بنكندورف حائقين على بوشكين أكثر
 من أى وقت مضى ، فوجدها فرصة لا تفوت ، وعزم على أن
 يطلق لقلبه وللسان العنان .

ولما طلع بوشكين بالفصل السابع من مسرحيته الشعرية
 (أوجين أونيجين) ، وكان ذلك الفصل من أبداع ما أنتجته
 عبقرية أمير شعراء روسيا ، عمد بولغارين إلى الشروع بالمعركة
 ضد خصمه فاستلها بتقريظ للفصل المذكور ، تعمد فيه التشويه
 والتضليل ، وقد جاء فيه ما يلي : « لم نعثر على أية فكرة تستحق
 التنويه في هذا الفصل السابع المائع ! . . لم نعثر على أية صورة
 أو شعور يستحقان النظر ! . . إنه لانهطاط كلى ، لقد ظننا أن
 مؤلف (روسلان ولودميلا) توجه إلى القوقاس لينهل حساسيات
 الشعر السامية ، وليمتلأ نفسه بالانطباعات الجديدة عن أعمال

البطولة الروسية فيقدمها للأجيال في شكل أغان عذبة خالدة . .
 لقد ظننا أن الحوادث العظيمة التي وقعت في الشرق ، والتي
 أثارت دهشة العالم ، وأكسبت روسيا احترام جميع الأمم
 المتمدنة ، ستهز شعراءنا وتوقظ فيهم ربة الشعر . . لكننا
 أخطأنا التقدير ، فالشعراء المنشدون البارزون التزموا الصمت ،
 وظهر (أونيجين) في صحراء شعرنا ثائية ، ذابل الوجه ، خائر
 العزيمة ! . . ، لقد تلاشت آمالنا بالشاعر ! » .

ثم انتقل بولغارين في حملته على الشاعر من الطعن في مؤلفاته
 الأدبية إلى التحامل على كرامته الشخصية مشيراً إلى أن جده
 الأكبر لأمه إن هو إلا عبد ابتاعه بطرس الأكبر ! . . ولا
 يحق لرجل تجرى في عروقه الدماء الزنجية أن يدعو أمة الروس
 إلى الإصلاح والحرية . . وقد اشترك في هذه الحملة عدد من
 صحفيي البلاط الروسي ، يدعمهم من وراء ستار نيقولا الأول
 وبنكندورف ، وكانت حملة شديدة الوطأة على نفس بوشكين
 الذي وقف عاجزاً حيالها ، غير قادر على دفعها وتفنيدها ، لأن
 الرقابة كانت تحرمه من هذا الحق ، وعيون القيصر كانت تعد
 عليه الأنفاس ، فغداً أسيراً لاسلح له سوى الاعتداد بآل بوشكين

الأشراف وما لهم من امتيازات موروثية تخولهم حق التدخل في الشؤون العامة وتمنحهم حرية الاستقلال في الرأي .

وفي ربيع سنة ١٨٣٠ أعاد بوشكين طلب يد الفتاة الرشيدة الحسناء نتاليا نيقولايتنا غونتشاروفا ، فوافاه الحظ في هذه المرة وكان القبول والرضا من جانب الفتاة ، أما أمها فقد طرحت على بوشكين ثلاثة أسئلة طالبة الجواب عليها فوراً للحصول على موافقتها .
وهي : أولاً — هل يضمن السعادة لابنتها مع كل ماعرف عنه من شباب طائش ؟ . ثانياً — هل يمكنه وضعه المادى من ضمان كل ما تحتاجه ابنتها وهي التى لم تعتد الحرمان ؟ . . ثالثاً — هل هو مراقب من رجال الأمن وتحوم حوله الشبهات السياسية ؟ . .
فكانت أجوبة بوشكين على هذه الأسئلة مائعة غامضة ، لكنها أدخلت الطمأنينة إلى قلب الأم وأعلنت موافقتها على الزواج ، وهكذا اجتاز الشاعر المرحلة الأولى في طلب يد نتاليا ، فبقى عليه اجتياز مرحلة أخرى . أمر وأدهى وهي موافقة القيصر على عقد الزواج ! . .

وبعد أن أشعر بوشكين نيقولا الأول عن عزمه الاقتران بنتاليا غونتشاروفا ، كما تقتضى حقوق الرعاية ، تلقى منه رداً بواسطة

بنكندورف قال له فيه أنه لا يمانع في زواجه ، ومنحه البركات ،
ومونه بالتحذيرات والتوبيخات . . فقد كتب بنكندورف إلى
الشاعر يقول : « إن صاحب الجلالة الذي يعتنى بكم اعتناء أبوياً
خولني بوصفي شخصاً يتمتع بثقته الامبراطورية ، لا بوصفي رئيساً
للدرك ، أن أشرف عليكم ، وأن أوجهكم بنصائحي الدائمة حتى
بعد اقترانكم وصيرورتكم رب عائلة ! » .

فكل هذه الحوادث المتعاقبة عملت على زعزعة ثقة الشاعر
بالقيصر ، وحطمت آماله به شيئاً فشيئاً ، فقد أدرك بوشكين في
نهاية الأمر أن القيصر وحاشيته لم يطلبوا منه أن يكون مواطناً
مخلصاً أميناً وإنما طلبوا منه أن يكون عبداً ذليلاً يسخر مواهبه
للتسبيح بحمد الدولة وسلطانها .

وقد أعرب بوشكين عن شعوره هذا بقصيدة عميقة المعاني دعاها
(البطل) ، صاغها في قالب حوار بين شاعر وصديق له حول
البطولة والمجد ، فالشاعر يحاول إقناع صديقه بأن البطولة الإنسانية
هي أسمى مظاهر المجد ، ويضرب على ذلك مثلاً بقوله أن نابليون
كان أثناء الحملة المصرية يعود الجنود المصابين بالطاعون ويصافحهم
ويشجعهم ، ويثير فيهم روح الرجولية وهم على عتبة الموت . . أما

الصديق فيؤكد للشاعر مستنداً إلى أمثلة تاريخية عديدة بأن بطولة نابليون هذه لا تستحق التمجيد لأنها بطولة مصطنعة أشبه بالخرافات والأساطير .

والواقع أن قصيدة (البطل) هذه التي تحدث فيها بوشكين عن إنسانية نابليون المصطنعة هي قصيدة رمزها إلى نيقولا الأول بمناسبة عيادته المصابين بالكوليرا من سكان العاصمة الروسية الذين استولى عليهم الذعر حيال هذا الوباء الفتاك ، فكان القيصر مثل نابليون يصافح الموبوئين ويواسيهم وهم على أبواب الأبدية : فاكسب بذلك لقب البطولة الإنسانية كما اكتسبها ذاك ، وكانت بطولة مزيفة كما كانت تلك .

وبعد أن لمس بوشكين هذا التشابه في الرياء بين الأمبراطور والقيصر قال في آخر قصيدته متألماً : « إيه أحلام الشاعر . . أن المؤرخ الصارم يعدو في أثرك ! » . ولما تملكه اليأس والقنوط ، ورأى أن الآمال التي عقدها على نيقولا الأول تتحطم ، قال في قصيدة أخرى ما معناه : « إن الحقائق المظلمة الحقيرة لهي أسمى لدى من سيادة الضلال وبهرجته » ، وتساءل في مكان آخر من

هذه القصيدة ، « إن تخلى البطل عن قلبه ماذا يحل به ؟ ..
 فيجيب : أنه ينقلب إلى مستبد جائر » .

بمثل هذه العبارات أعرب بوشكين عن تشاؤمه من القيصر وعدله ، وغدا يحلم في أمر واحد لا ثانى له وهو الابتعاد عن محيط القيصر في مكان قصي ، وليكن هذا المكان قرية نائية حيث الأحراش ، والبحيرات صيفاً ، وحيث الثلوج والزمهرير القارص شتاء ، فالى القرية إذن ، إلى القرية التي لا يجد فيها الشاعر من يضايقه وينغص عليه عيشه .

حقاً أن الفترة التي قضاها بوشكين في بطرسبورغ ، بعد عودته من ميخايلوفسك ، كانت فترة عصيبة في حياته الشخصية ، لكنها لم تكن لتوهن عزيمته وهو صاحب الرسالة الإصلاحية الكبرى ، ولم تقف حيزر عشرة في سبيل نبوغه ، كما أنها لم تحدد من سيل إنتاجه ، فقد واصل في تلك الأثناء كتابة فصول (أوجين أونيجين) ، ونظم القصائد الغنائية الكثيرة ، ووضع قصيدة (بولتافا)^(٢٦) استعرض فيها بطولة بطرس الأكبر وتغلبه على ملك السويد شارل الثاني عشر ، وقصيدة (الفارس النحاسي) وهي مستوحاة من تمثال بطرس الأكبر القائم في ساحة مجلس

الشيوخ في بطرسبورغ ، وكتب سيرة (إبراهيم هانديبال) جده
الأكبر لأمه فتحدث فيها أيضاً عن بطرس الأكبر معدداً مناقبه،
وملمحاً إلى ما تحلى به من خصال إنسانية حميدة .

ونلمس في كل ما نظمه الشاعر في بطرس الأكبر وكتبه أنه
كان من المعجبين بذلك القيصر بوصفه زعيم بلاد مجدد ، عمل
على نشر الثقافة الغربية في روسيا ، وأدخل فيها الإصلاحات
الجملة وخاصة إثر عودته من سياحته في أوروبا ، وأنه كان يتمنى
رؤية قيصر شبيه ببطرس فيأخذ بيد روسيا ويعمل على إنهاضها
فطن في مرحلة من الزمن أن نيقولا الأول هو القيصر المنشود
غير أن مجرى الحوادث التاريخية نقض ظنه هذا وخيب آماله .
وتعرض بوشكين في قصائده الأخرى التي وضعها بعد عودته
من ميخايلوفسك إلى طبيعة الفن الشعري ، وأهداف الشعر ،
ومهام الشعراء ، وكان رأيه في ذلك أن هناك رابطة وثيقة بين
الشعر والحياة الاجتماعية ومؤثراتها ، وبين الفن والتعليم من
جهة ، والأدب وآراء العصر التقدمية من جهة أخرى ، وقد
نهج الشاعر على هذه المبادئ في حياته الفنية متوخياً تسخير
نبوغه لفائدة أمته ووطنه ، ولطالما تمنى أن ينفرد إلى الشعر

الهجائي ليحمل على المساوى الإجتماعية ، ويستثير نقمة الشعب
على كل ما هو خسيس وضار .

وتراءى للشاعر بعد أن خفتت أصوات المجددين ، وتزعزعت
ثقة الشعب الروسي بالديمكرين إثر الفشل الذى أصابهم ، وظل
مجتمع نيقولا الأول مجتمعاً لا يحيد عن الجود قيد أنملة تراءى له
فى هذه الحقبة من الزمن أن هناك تناقضا بين الشعر والحياة ،
فنظم قصيدة (الشاعر) أودعها ما يحز فى نفسه من ألم الغربة بين
الناس فقال :

« لم يطلب (ابولو) من الشاعر بعد ، أن يقدم على التضحية
المقدسة ، أنه فى مهام الحياة ومتاعبها ، مثقل الأحمال ، وجل ،
قيثارته المقدسة تلتزم الصمت ، ونفسه تذوق السبات الفاتر ،
أنه بين أطفال العالم المنبوذين ، ربما يكون أنبذهم بلا مناصر ،
لكن إن مس سمعه المرهف ، ذلك الصوت الربائى ، تنفض
روحه وتستيقظ ، كما يستيقظ النسر . »



« إنه يحزن فى ملاهى الحياة ، يشعر بغربة فى صخب الشعب ،
لا يطأطأ رأسه الفخور ، عند أقدام مذبح الناس ، ان نفسه

تميد بالتمرد والألحان ، إنه يفر كالوحش الضارى ، يركض على شاطئ القفر الطليق ، ووجهته الغابات الشاسعة ، الزاخرة بحفيف الأشجار . »

وهكذا غدا بوشكين يفكر بالتأليف خارج المجتمع ، بعيداً عنه بقدر المستطاع ، يريد أن يكون شاعراً « بلا صدى » شاعراً لنفسه ومن أجل فنه فقط . . وكما اشتد الخلاف بين الشاعر والقيصر وحاشيته ، تأصلت فيه فكرة التناقض بين الفن والمجتمع ، وتعاضل نفوره من العناصر التى تعادى الشعب ، وتعاكس تقدمه ، وتحارب فنونه ، فنعتها فى قصيدة له : « السواد » لأنها لا تعرف إلا النفاق والمداهنة . وقد بلغت الجرأة بهذه العناصر أن تعرض على الشاعر رغباتها الخاصة سائلة إياه أن يسكب هذه الرغبات فى قوالب من الشعر ، ثم تمادت وأخذت تشير عليه كيف يكتب وينظم ، فكان من البديهي أن يحتج الشاعر على ذلك المحيط وأن ينكمش على نفسه ضمن دائرة فنه الخالص ، معتقداً أن الفن قوة مستقلة تستهدف نفسها ، وتتنع بذاتها ، بعيدة عن السياسة والحياة الاجتماعية .

فنظرية الفن من أجل الفن التى اقتنع بها بوشكين ليس لها

أية علاقة بنظرية الفن الخالص التي دعا إليها الأدباء الشكليون (الإتباعيون) وما زالوا يدعون ، فهدف هؤلاء تحويل الفن الى ألوهية شكلية مجردة من كل مضمون ، أو هدف ، أو معنى ؟ إنهم في حياتهم الفنية هذه لا ينزعون نزعة ديمقراطية لأنهم يحتقرون عامة الشعب ، بعد أن يكونوا قد انتزعوا منهم المادة لفنهم وشوهوها بتحويلها إليهم إياها إلى ألوهية يتحكمون فيها ويتعسفون لم ينس بوشكين في جميع أدوار حياته أنه إنما يكتب للشعب وأن عليه توخي الدقة والبساطة ووضوح الفكرة في فنه ، أما إكشاره من التحدث عن الفن من أجل الفن فما كان يقصد منه إلا ليضع نفسه ضد الكتاب والشعراء النفعيين الذين كانوا ينشدون ويتحسسون وفاقاً لإرشادات تأتيم من عل ، و يقيسون قيمة الإنتاج الفني بمقياس الأوامر الرسمية التي تصدر إليهم من المراجع ذات الاختصاص .

وإذا ما طالعنا قصائد بوشكين المعروفة بأنها وضعت من أجل الفن فقط وجدناها قد انطوت في ذات الوقت على حملات تهكمية لاذعة لمجتمعه ، فقد قال في قصيدته « السوداء » مخاطباً أعداء الفن والإبداع :

« إليكم عنى ، اغربوا ،

فما لكم والشاعر المسلم ،

تخرجوا فى الخلاعة ولا تجبنوا ،

إن صوت القيثارة ان يذ فىكم الحياة ! »

ذكروا عن الشاعر أنه لم يطق بتاتاً أن يسأل فى حلقات
الأوساط العليا إلقاء شىء من قصائده ، وحدث مرة أن دعت
الأميرة زينايدا قولكونسكايا إلى صالونها الأدبى ، فابى الدعوة
وبعد أن اكتملت الحلقة رجوه أن يسمعهم نتفاً من قصائده
فاعتذر غير أن الأميرة وضيفها ألحوا عليه ، ولما لم يجد مفرأ من
تلبية طلبهم نهض متثاقلاً وقرأ عليهم قصيدة « السوداء » !
وختمها متمتما : « لعلهم لا يلحون على مرة أخرى ! »

لقد أحس بوشكين أنه أصبح غريباً فى مجتمع الأشراف
الروسى الذى ينتمى اليه ، وإن عليه أن يقرر مصيره دون تردد
فولى وجهه شطر الشعب ، شطر الأجيال المقبلة .

بوشكين روائي وقصصي

هذه هي المرة الأولى التي يخرج فيها بوشكين من العاصمة الروسية غير منفى ، ففي الخامس عشر من شهر أيلول (سبتمبر) سنة ١٨٣٠ استقل الشاعر عربة وتوجه إلى أملاك أبيه في قرية بولدينه الواقعة في إقليم نيجيغورودسك ليستلم ماخصه له أبوه من أرض ومسكن بمثابة دعامة مادية لحياته الزوجية المقبلة .

جاء الشاعر القرية وقد اعتزم ألاّ يمكث فيها طويلاً ، فيرتب شؤون أملاكه ، يدرس عن كشب ما يمكن أن تدره عليه هذه الأملاك من دخل سنوى ، ويعود أدراجه إلى موسكو لإتمام إجراءات الزواج ، لكن لسوء طالع بوشكين أو لحسنه أنه اضطر إلى البقاء في بولدينه خريف سنة ١٨٣٠ بأمله وذلك بسبب انتشار وباء الطاعون في منطقة القولغا واجتياحه إقليم نيجيغورودسك ، وإقامة النقاط الصحية في كل مكان ، وإيصاد الطرق المؤدية إلى موسكو .

وبعد مرور الشهر الأول من إقامة الشاعر في بولدينه اقتنع تماماً بأن القرية في حالة يرثى لها من التدهور ، وأن فلاحها

فقراء هزيلين ، وبالتالي لا يصح الاعتماد على حصته من محصولها الزراعى ، وأن عليه أن يعتمد فقط على دخله من تأليفه الأدبية والشعرية .

لقد كان الكتاب النبلاء وشعراؤهم فى عهد بوشكين ينظرون إلى الأدب بمثابة وسيلة للترفيه عن أنفسهم وعن أنفس الكسالى المتنعمين من الناس ، ولهذا السبب كانوا يعتقدون أن من الإهانة بمكان ، بل من الخطأ بسمعتهم وكرامتهم أن يكرسوا أنفسهم لخدمة الأدب ، فهم نبلاء بالدرجة الأولى ثم كتاب وشعراء وفنانون .

فبولدينه كانت نقطة تحول فى حياة الشاعر ، إذ صار يتطلع إلى نفسه لا كشاعر بالاسم فحسب ، بل وبالمهنة أيضاً ، يمتاز عن غيره من الفنانين النبلاء بوجهة نظره الديمقراطية فى الأدب ، واعتباره إياه مصدر معاش ، هذا ضرب جديد من المهن لم يكن مألوفاً بين أولئك الفنانين فى ذلك العصر .

حاول بوشكين ثلاث مرات الإفلات من بولدينه والعودة إلى موسكو حيث تنتظره عروسه ، وكان الفشل من نصيبه فى كل مرة ، فكتب لنتاليا فى إحدى رسائله يعرب لها عن استيائه من

الفخ الذي أوقعته الصدف فيه فقال : « إنني على أهبة العودة إلى موسكو مع أن أشغالي لم تنته بعد ، غير أن السلطات المحلية أحاطتني علماً بأن خمسة مراكز صحية أقيمت في الطريق حتى موسكو ، وأنه يقتضى على المسافر أن يمكث أربعة عشر يوماً في كل من هذه المراكز الخمسة ، ومما زاد الحالة سوءاً أن الأمطار هطلت بغزارة فكثرت الأوحال ، وتعطلت طرق المواصلات ، يضاف إلى ذلك انتشار الأمراض والأوبئة ، ووقوع اضطرابات ثرا استفحال داء الطاعون . . إنني أتميز غيظاً وأكاد أقنط ، ويلوح لي أن حفلة زفافنا تفر من وجهي . . حقاً هل من مهزلة يبتدعها الدهر أسخف من هذه المهزلة ؟ » .

وكانت نتيجة هذه العزلة غير المختارة أن وضع بوشكين خلال أشهر الخريف عدداً وافراً من القصائد والمسرحيات ، فأنجز الفصلين الأخيرين من رواية (أوجين أونيفين) ، ونظم القصص الشعرية التالية : (بيت في كولومنه) ، و (الفارس البخيل) ، و (موزاروساليري) ، و (عيد أثناء الطاعون) ، و (دون جوان) . . وألف مجموعة من القصص النثرية تحت عنوان (قصص باكلين) ، و (سيرة قرية غوريوخين) ، وعدداً كبيراً

من القصائد الغنائية ، والمآسى المسرحية ، والمقالات المطولة في النقد الأدبي .

أن الفترة التي قضاها بوشكين في قرية بولدينه تؤلف صفحة هامة في حياته لا من ناحية كمية ما صنفه ونظمه بل من ناحية المضمون والجوهر ، ففي بولدينه أقدم الشاعر على تصوير سائر طبقات المجتمع الروسى من أشراف ، وأعيان ، وصناع ، وفلاحين وفي بولدينه هذه بلغت آراء بوشكين الواقعية الذروة ، فكان أول من عبّد الطريق لهذا المذهب في تاريخ الأدب الروسى ، وما بلغ الأدب الروسى ما بلغه من مرتبة عالمية ، وشهرة طبقت الآفاق ، إلا لأنه يقوم على وقائع الحياة مباشرة ، وينتهل مادته من صميم النفس البشرية .

فرواية (أوجين أونيجين) التى أنتم بوشكين تأليفها في بولدينه هى رواية تصف لنا المجتمع الروسى لذلك الزمن بأسلوب شائق ، وقد قال الناقد الأدبى الروسى الكبير بلينسكى^(٢٧) فى تلك الرواية : « إننا نرى فى أونيجين صورة المجتمع الروسى وقد بدت للعيان فى قالب شعرى ، فهى ملحمة تاريخية بكل معنى الكلمة ، مع أنها لا تتضمن أية شخصية تاريخية ، إنها أول تجربة لهذا النوع

من المظلم ، وكانت تجربة جد موفقة برهنت على أن بوشكين ليس شاعراً فحسب وإنما هو أول ممثل للدراك الاجتماعي المتيقظ . لقد تركت (أرجين أونينغين) أثراً عميقاً في آداب الشعب الروسي وأخلاقه ، إنها وثيقة بلوغ رشده ، وجدير بنا أن نسميها دائرة معارف الحياة الروسية .

وتابع بلينسكى تحليله (أوجين أونينغين) بقوله : « أما المبدأ الاجتماعي الذي اتخذ بوشكين لنفسه في روايته هذه فيقوم على كون الإنسان لم يخلق للشر وإنما للخير ، ليس للجريمة وإنما ليتمتع بخيرات الوجود تمتعاً مشروعاً معقولاً ، فساعى الإنسان عادلة ، وغرائزه كريمة ، وأن روح الشر لا تكمن في نفسه بل تكمن في المجتمع ، والسبب في ذلك أن المجتمع لا زال بعيداً عن تحقيق مثله الأعلى ، وبلوغ درجة الكمال » .

أما المأسى المسرحية التي وضعها بوشكين في بولدينسة فقد بُنيت على وقائع مستقاة من تاريخ انكارترا ، واسبانيا ، وألمانيا ، وهي إن دلت على شيء فأنما تدل على مقدرة بوشكين الفائقة في طرق أبواب الأمم والشعوب الأخرى والتغلغل في حقائقها

الداخلية ، واستيعاب كباثرها وصفائرها ، والغوص في خصائصها ومميزاتها .

وقد علق بلينسكى على هذه الناحية في بوشكين بقوله :
 « إن مقدرة بوشكين على التبحر في حياة الأمم الأخرى ، هي
 صفة من صفات الروس القومية ، فالروس قوم ليسوا بضيق النظر
 القومى ، وهم يهتمون بكل ما أدركته الشعوب من مدنيات
 وثقافات . كما أنهم قادرون على هضم جميع ثمار العلوم ، والفنون
 والسياسات العالمية » .

ويخلق بوشكين بفنه الواقعى فى مآسيه الصغيرة هذه ، فيصف
 خصائص الديار الأجنبية التى تجرى فيها الحوادث ، ويصور
 الأشخاص بعبارات سلسلة مقتضبة ، وهم كما نراهم فى مآسيه
 لا يشبهون أشخاص يرون الذين يحملون طائفة محدودة من
 العواطف قد اجتزأت اجتزاءً من مجموعة العواطف الإنسانية ،
 وإنما هم كلهم حيوية ، كثيرو المناحى ، متعددو الرغبات ،
 مثلاً هى عليه الطبيعة البشرية فى الحقيقة والواقع .

كان الأدباء النبلاء فى عصر بوشكين يعتقدون أن طبقات
 الشعب المتوسطة والسفلى لا تستحق الوصف الفنى ، ولا يجوز

الرجوع إليهما كمادة للإبداع الأدبي والشعري ، فجاء بوشكين ونقض هذه القاعدة في كتاب (قصص بلكين) الذي ألعنا إليه و إذا بهذه القصص تتضمن صوراً عن (حفار القبور) و (الموظف الصغير) و (ناظر المحطة) وغيرهم .

فقصة (ناظر المحطة) قصة طائفة بالشعور الإنساني العميق ، والتألم لآلام الناس ، والعطف على الموظفين المهانين ، والمهضومي الحقوق ، وهي التي ألهمت (غوغول^(٢٨)) فيما بعد أن يكتب قصة (المعطف) ، كما أوحى للكاتب غريغوروفيتش^(٢٩) أن يضع رواية (أنطون البأس) ، ونهت دستوفسكي^(٣٠) ، ونيكراسوف^(٣١) ، إلى تأليف مجموعة نفيسة من الروايات والقصص التي تصور حياة أبناء الشعب .

وعمد بوشكين في قصته (قرية غوريوخين) إلى وصف القرية الروسية كما كانت عليه من ظلم ومذلة ، وقد أورد الكاتب في تلك القصة يوميات لأحد ملاكي قرية غوريوخين جاء فيها : « الرابع من شباط (فبراير) — الثلج يتساقط . يجب جلد تريشكا لخشونته . في السادس منه — لقد فقدت البقرة الحلوب يجب جلد سانكا لشربه الخمرة . في الثامن منه — الطقس جيد .

في التاسع منه — مطر وثلج . يجب جلد تريشكا لشربه الحمرة ! »
 نقم بوشكين على وضع القرية الروسية إبان إقامته في بولدينه
 ورأى في استرقاق الفلاحين لطخة عار للروس ، فأوحت إليه
 مشاهدات هذه نظم قصيدة جاء فيها :

« ألق بنظرك إلى هذا المشهد
 ترى أكوأخاً بأسة هنا وهناك ،
 ووراءها أرضاً سوداء ،
 ملئت بالأخايد والمنحدرات ،
 وقد عُقدت في سماءها غيوم رمادية كثيفة ،
 أين أنت يا نهر نيقا الكبير ؟ .
 أين أنت أيتها الأحراج الشاسعة ؟ .
 إننى لا أرى شيئاً منكما هنا ،
 وكل ما أراه :

شجرتان بأستان ، تقفان لتسر الأنظار ،
 شجرتا فقط ،

جرّد الخريف المطر إحداها من الورق ،
 وعلى الثانية أوراق ذابلة صفراء ،

تنتظر الرياح لتحملها إلى المستنقعات ،

ولا أرى في الساحة سوى :

فلاح وامرأتين تسيران في عقبه ،

وهو حاسر الرأس ،

يحمل تحت إبطه تابوت طفل ،

وينادى على ابن القس الكسول :

أُدع أباك أيها الطفل ،

أُدعه ليفتح الكنيسة ،

أسرع لا وقت لدى ،

لأوارى طفلي هذا التراب ! . . »

إن اطلاع بوشكين على الحقائق الروسية اطلاعاً واسعاً ،

وتعرفه إلى مختلف نواحي بلاده ، وتبحره في تاريخها ، وتتبعه

للعلاقات القائمة بين عموم طبقات الشعب الروسى ، وتثقيف

نفسه تثقيفاً عالياً متواصلاً استمر طيلة حياته ، كل هذه الأمور

أثبت ثمارها في تبلور نزعة بوشكين الواقعية في الأدب والشعر .

بعد الزواج

اقترن بوشكين بالحسناء نتاليا غونتشاروفا في الثامن عشر من شهر شباط (فبراير) سنة ١٨٣١ ، ولأول مرة في حياته الطافحة بالمشقات والحزن شعر بالسعادة الزوجية تغمر نفسه بالرغم من الضائقة المالية التي كان يعانيها ، واضطراره إلى رهن حصته من أملاك (بولدينه) لتغطية نفقات حفلة الزواج وتهيئة المسكن الجديد .

كتب الشاعر إلى صديقه بليتينيف^(٣٢) يقول : « إنني سعيد في حياتي الجديدة سعادة لا توصف ، ورغبتى الوحيدة ألا يتغير شيء في منهجى البيتي ، لأننى لا أتوقع أفضل مما أنا عليه ، ولا أبالغ إن قلت لك إننى أشعر وكأننى ولدت ثانية »
لكن هل تحققت آمال الشاعر في السعادة الزوجية الدائمة ؟ .
هذا ما سنراه .

سكن بوشكين مع زوجته في موسكو في بادئ الأمر غير أن حماته كانت امرأة سليطة اللسان ، كثيرة الرغبات ، تخلق المشاكل من لا شيء ، وكان يلذ لها تحريض ابنتها على زوجها ، وتوجيه



تتالیا نیقولایفنا بوشکینا

العبارات الجارحة إليه ، وكان من البديهي ألاّ يحتمل بوشكين هذا التدخل الشاذ من حماته فكتب إلى صديقه بليتينيف يقول : « إننى أعيش هنا كما تريد حماتى لا كما أريد أنا ! » ثم فرّ بزوجته إلى بطرسبورغ ، وسكن موقتاً فى القرية القيصرية .

تمنى بوشكين الحياة الهادئة المليئة بالعمل الفكرى المنتج ، والتأليف المفيد ، غير أن سوء طالعہ كتب له أن يقاسى المتاعب والآلام تبعاً ، فلما انتقل من موسكو إلى بطرسبورغ أحاطه نيقولا الأول بطوق جديد من « عنايته » ، فعمل على إدخاله مرة أخرى فى وزارة الخارجية ليشغل ذات المنصب الذى شغله إثر خروجه من معهد القرية القيصرية ، وأظهر له من ضروب التودد والملاطفة الشئ الكثير ، وخفف عنه أعباء أعماله الرسمية وأذن له بمراجعة ملفات الدولة لكتابة سيرة بطرس الأكبر ، وفتح له اعتماداً مالياً يلجأ إليه عند الحاجة .

والواقع أن هذا اللطف الذى أبداه القيصر نحو بوشكين لم يكن موجهاً إلى شخصه مباشرة ، وإنما كان موجهاً إلى زوجته الحسنة . كانت نتاليا غونتشاروفا ، كما سبق لنا أن ألمعنا إلى ذلك ، لؤلؤة المجتمعات الروسية الارستقراطية ، وباقه زهورها

الفواحة ، وقد بلغ من تحدث القوم بحسنها أن الدبلوماسيين
 الأجانب ، في ذلك العهد ، رددوا اسمها في تقاريرهم الرسمية
 المرفوعة إلى رؤسائهم ، وأشاروا إلى ما كانت تتمتع به تلك الفتاة
 من مكانة لدى القيصر وحاشيته .

عرف القيصر نتاليا وقت أن كان يزور موسكو فاسترعى
 جمالها نظره ، ولما غدت زوجة بوشكين وانتقلت إلى بطرسبورغ
 عقد النية على استدراجها إلى البلاط والسماح لها بالتجوال فيه ،
 ولما كانت التقاليد المتبعة وقتئذ لا تجيز لامرأة أن تتردد على
 البلاط إلا إذا كان زوجها ، أو أحد أقربائها ، يشغل منصباً
 رسمياً في الدولة ، أسرع عاهل الروس وزج الشاعر في وزارة
 الخارجية ، واعتبره فرداً من أفراد « الحاشية » .

لم تفقه نتاليا الصبية المهام الأدبية العظمى الملقاة على عاتق
 زوجها الشاعر ، فاندفعت تلهو في المجتمعات العليا ما قدّر لها أن
 تلهو ، وتبذر الأموال تبذيراً فاحشاً دون تفكير في العواقب ،
 فأرهقت زوجها بما كانت تنفقه على نفسها من حلى وملابس
 تتناسب مع ذوق البلاط ، في حين أنه لم يكن لذلك الزوج من

مورد ثابت سوى دخله من نتاجه الأدبي ، وأرزاق سنوية طفيفة تأتيه من حصته في أملاك أبيه .

كتب بوشكين في رسالة له آنئذ يقول : « إن حياتي في بطرسبورغ متقلقة ، واهتمامي بتأمين المعاش لأسرتي لا يدع الضجر يتسرب إلى نفسي ، غير أنني أفتقد أحياناً حياة العزوبة الطليقة الضرورية للفنان ، فها أنا أرتاد المجتمعات العليا ، وقرينتي تتبع الأزياء الباريسية وغيرها ، وهذا كله يتطلب نفقات باهظة والمال أجمعه عن طريق العمل ، والعمل يتطلب العزلة والوحدة . » وكتب في رسالة أخرى يقول : « إن طراز المعيشة في بطرسبورغ لا يتفق مع مشاربي ولا بأية صورة كانت ، فلا ذوق ولا امكانياتي باستطاعتهما أن يتكيفاً مع حياة العاصمة ، ولكن ما العمل ، على أن أحتمل ذلك سنتين أو ثلاث سنوات »

كان بوشكين كما عهدناه ذا إرادة قوية ، طموحاً ، محباً للعمل كيفما كانت الظروف التي تحيط به ، وقد صدق الشاعر فيازيمسكي^(٣٣) الذي عرف بوشكين عن كُتب حين قال في وصفه إياه : « كان الشاعر الكبير عظيم الحيوية ، تزججه صفائر الأمور ، وكان عرضة لنزعاته الداخلية المتقلبة ، فينجذب نحو

الهدف الذى يرمى اليه تارة وينحرف عنه تارة أخرى ، ولقد اتسم بقوة معنوية خارقة يرجع اليها الفضل الأكبر فى المحافظة على مستواه العالى الخلقى والأدبى . أما سر هذه القوة فهو حب العمل ، والشعور الدائم بالحاجة الماسة إلى الإنتاج وإلى النظم والتأليف . كان العمل الفكرى هيكلاً بوشكين المقدس ، إذ فيه كانت تشفى جروحه ، ومن ينبوعه كانت أحزانه تنهل النشاط والحيوية ، وفى فيئته كانت الحياة تدب إلى قواه إن وهنت وخارت ، وإذا باغتمته آلهة الفن بملهماتها استأسد بعد الدعة ، فوضع مولوداً جديداً من الفن الرائع .

طمح بوشكين إلى العمل المنتج غير أن الظروف الخاصة والعامة التى اكتنفته فى بطرسبورغ لم تدع له المجال لأن يستقر ويهدأ ، كما أن القيصر نيقولا الأول وحاشيته لم يسمحوا له قط بمغادرة جو العاصمة الروسية الموبوء ، ومع ذلك كله كان الشاعر يتابع بكل تعطش مجرى حوادث عصره السياسية ، ولم ينقطع لحظة واحدة عن مواصلة أعماله الأدبية والعلمية .

ففى سنة ١٨٣٠ اشتعلت نيران الثورة البولونية الاستقلالية فامتدت من كراكوف إلى فرسوفيا ولم تقمع إلا فى سنة ١٨٣١ ،

وقد كان لهذه الثورة صداها في شعر بوشكين فنظم فيها قصيدة (خصوم روسيا) ، و (ذكرى معركة بورودين) ، وكان في قصيدتيه هاتين من القائلين بابقاء بولونيا في دائرة النفوذ الروسي مشيراً إلى أنه لولا الجيوش الروسية لما تمكنت بولونيا من الخلاص من نابليون ، يضاف إلى ذلك اعتقاد الشاعر بأن لروسيا رسالة روحية عليها أن تؤديها إن في بولونيا أو في القوقاس .

وفي الوقت الذي كان الشاعر يؤيد فيه القيصر في سياسته الخارجية كان ينفر كل النفور من سياسته الداخلية ، حتى أنه أحجم عن طلب إذن باصدار جريدة سياسية كيلا تصبح جريدته هذه لساناً رسمياً ، وكيلا يتحول هو شخصياً إلى كاتب حكومي . طلب القيصر من بوشكين وقتئذ أن يكتب سيرة بطرس الأكبر ، فلاقى هذا الطلب لأول وهلة صدى حسناً في نفس الشاعر ، إذ كان كما أسلفنا من المعجبين بشخصية بطرس التاريخية ، وكان يتمنى أن يحذو نيقولا الأول حذو ذلك العصامي الكبير ، لكن الوقائع خيبت آماله هذه ، فجاء طلب القيصر بكتابة سيرة بطرس متأخراً ، ولم ير الشاعر فيه ضرورة تاريخية ملحة فأهمله وراح يوجه اهتمامه إلى دراسة حياة الفلاحين الروس ،

وكان شاهد عيان على الاضطرابات التي وقعت أثر انتشار الطاعون سنة ١٨٣٠ ، واضطرابات الجنود في قضاء نوفوغورود سنة ١٨٣١ ، فلفتت هذه وتلك أنظاره إلى القرية الروسية وشرع يصلها بفكره بثورة إيميليان بوغاتشوف^(٣٤) التي هبت على ضفتي الفولغا في سني ١٧٧٣ - ١٧٧٥ ، إبان حكم القيصرة كاترين الثانية .

عاد بوشكين إلى سيرة بوغاتشوف وقد سمح له القيصر بمراجعة الوثائق الحكومية التي أوصت كاترين الثانية بعدم فتحها إلا بعد مضي نصف قرن من الزمن . . وكانت حجة الشاعر في مراجعة تلك الوثائق أنه ينوي دراسة الجنرال سوفوروف^(٣٥) قانع ثورة بوغاتشوف ، ولكي يكون الشاعر دقيقاً في دراسته هذه حصل على إذن قيصرى وسافر إلى المناطق التي شملتها الثورة مثل قازان ، وأورنبورغ ، وأورالسك ، ثم عرّج في طريقه على قرية (بردى) حيث كان مقر قيادة ذلك الفلاح القوزاقى ، وتقابل هناك بشهود أحياء كانوا لا زالوا يعطفون على بوغاتشوف الذى ادعى بأنه هو قيصر روسيا الحقيقى وليست تلك الإمراة المسماة كاترين الثانية .

قال بوشكين في مذكراته عن تلك الرحلة : « رأيت أثناء تجوالى فى المناطق التى شبت فيها الثورة أن قوزاق الأورال ، وخاصة الكبار منهم ، لم تزل الذكرى تربطهم باميليان بوغاتشوف ، فقط قالت لى عجوز فى الثمانين من عمرها : إننا لا نحمل إلا العطف على إيميليان فهو لم يلحق بنا أى أذى . وسألت أحدهم يدعى بيانيف : قل الحق أعتقد أن بوغاتشوف كان أباً (باتوشكا) مطاعاً ؟ .. فأجابنى بيانيف الهرم بعنف : أنك تسميه بوغاتشوف ، وأما أنا فأسميه الأمير الخطير بيتر فيدوروفتش ! » .

درس بوشكين حركة زعيم الفلاحين الروس للقرن الثامن عشر ، وحللها بقدر ما كان يسمح به المستوى العلمى لذلك العصر ، فكتب يقول : « كان السواد من السكان يقف إلى جانب بوغاتشوف أما الأعيان فقد أيدوا السلاطات ، مع أن زعيم الفلاحين حاول كسب ثقتهم وإقناعهم بأنه هو القيصر الحق ، لكنه لم يفلح بسبب تضارب المصالح . . » .

ولدى عودته من مواطن حركة بوغاتشوف عرج ثانية على بولدينه ليقضى فيها أشهر الخريف ، فوضع فيها مؤلفه التاريخى

(سيرة بوغاتشوف) ، ولما عرضه على القيصر ليحصل على موافقته أمره بأن يستبدل العنوان بـ (سيرة تمرد بوغاتشوف) ، والاختلاف ظاهر بين العنوانين وهو يبين لنا الفارق في موقف القيصر والشاعر من ذلك الفلاح الدعى ، فالقيصر يعتبره رجلاً وحشياً لا يمكن أن تكون له سيرة خاصة ، وأما الشاعر فيعتبره شخصية تاريخية تماثل سيرتها سيرة الشخصيات القوية المتحدرة من أصلاب الطبقات الحاكمة .

ويظهر أن كتابة بوشكين سيرة بوغاتشوف قد أثارت اهتمامه بحياة القرية الروسية ومشاكلها ، فوضع روايته المشهورة (دوبروفسكى) — وقد عرضت هذه الرواية على الشاشة البيضاء قبيل هذه الحرب — المؤلف — وخلاصتها أن ترويكوروف رجل صاحب ثروة وجاه انتزع أراضى جاره الملاك الصغير دوبروفسكى ، غير أن فلاحى دوبروفسكى أبوا الانتقال إلى ترويكوروف المعروف بجوره وقساوة قلبه ، فثاروا عليه بقيادة ابن سيدهم فلاديمير دوبروفسكى ؛ بعد أن عجز هذا عن إيجاد حل ينصفه فى استرداد حقوقه المهضومة .

لقد أبدع بوشكين فى روايته هذه فى وصف سيكولوجية

فلاحى دوبروفسكى ، فهم غلاظ الأكباد مع خصومهم ، وهم إنسانيون مع كل من لم يهينهم ويحتقرهم . . ومن أبطال روايته هذه الفلاح أرخبىب الذى أغلق باب البيت المحترق على مأمورى تصفية أملاك سيده دوبروفسكى ، غير أنه خاطر بحياته لانقاذ هرة بقيت على سطح البيت !

وأكمل بوشكين فى السنين الأولى من زواجه قصيدة (الفارس النجاسى) ووضع رواية (السيدة البستونية) ، فالقصيدة الأولى وقد ألمعنا إليها فى فصل سابق ، تعرب عن آراء الشاعر البعيدة الغور فى تطور روسيا التاريخى ، ومحورها : الشخصية المتيقظة المطالبة بحقها فى السعادة ، والاستقلال ، والحرية ، واصطدامها بالضرورات التاريخية المتجسمة فى شخص القيصر .

ولعل ما حفز الشاعر إلى كتابة هذه القصيدة هو اقتناعه ، إثر فشل الحركة الدسمبرية ، أن الأحرار الروس ليس لهم قوة اجتماعية تسندهم وتنتصر لقضيتهم ، وأن القيصرية ضرورة تاريخية لروسيا ، ولا يجوز للأفراد الضعفاء أن يقاوموا مجرى التاريخ . . وقد جعل بوشكين بطل قصيدته هذه الشاب (أوجين)

وكان خصمه (الفارس النحاسي) ، أى بطرس الأكبر ،
فيصطرعان وينتهى الاصطراع بهلاك أوجين .

والذى نلاحظه فى هذه القصيدة أن بوشكين مع إعجابه
ببطرس الأكبر وتمنيه أن يكون نيقولا الأول مثله ، كان يرنو
إلى ما هو أفضل من ذلك القيصر المصلح ، فظهر (أوجين)
يناصب (الفارس الحديدى) العدا ، لكنه غلب على أمره تاركا
تتمة الرسالة إلى غيره .

قصيدة (الفارس النحاسي) هى الابداع الفنى فى أسمى
درجاته ، وهى التى وصفها بلينسكى بقوله : « لا تدرى ما الذى
يدهشك فى هذه القصيدة التاريخية العصماء ، أروعة الوصف
وعظمته ، أم البساطة فى التعبير ، فالإثنان معاً يبلغان أعلى
مراتب الشعر » .

لم يرض القيصر عن قصيدة بوشكين هذه ولم يسمح له
بنشرها وكان رأيه فيها أنه لا يجوز إبراز (أوجين) متمرداً على
(الفارس النحاسي) مهما كانت الدوافع ، وهكذا ظلت القصيدة
بين مخطوطات الشاعر ، ولم تطلع على الجمهور إلا بعد وفاته ،

وقد تولى نشرها الشاعر جو كوفسكى مدخلا عليها بعض التحريف
ارضاء للمراقبة القيصرية .

أما رواية (السيدة البستونية) فبطلها مهندس عسكري
يدعى هرمان ، وهو شخص ذو فكر هادىء مدقق ، تنتاب
نفسه أهواء جامحة ، « فلامح وجهه شبيهة بلامح وجه نابليون
وأما نفسه فشبيهة بنفس ميغستوفل » وقد حصر كفاءاته كلها
فى اتجاه واحد وهو جمع المال والإثراء . . (فالمال هو اسمى
ما تطمح إليه نفسه » ، وقد دفعته شهوته هذه إلى قتل عجوز
مثرية نبيلة ، ومن أجل المال داس بقدميه الحس الطبيعى لحب
المرأة ، وها هى (ليزا) تبكيه حباً وهياماً ، لكن بكاءها هذا
لا يحرك فى قلبه ساكناً . . « نظر لها هرمان صامتاً ، وقلبه
يتلوى من العذاب ، غير أن نفسه القاسية لم تهتز لشيء ،
لا لدموع الفتاة المسكينة ، ولا لمنظرها الحزين . إنه لم يشعر
بتأنيب الضمير لدى تفكيره فى العجوز المقتولة ، والأمر الوحيد
الذى كان يثير رعبه هو فقدان السر الذى يقوده إلى الثراء ! »
هرمان شخص مريض تنتهى حياته بالجنون ، وما هيامه
بجمع المال إلا مظهر من مظاهر الشؤم المريعة . فى هذه الرواية

يقف بوشكين موقفاً سلبيّاً من سلطان المال الناشئ في روسيا ،
ويدين الآداب الحديثة التي تدعو إلى استثمار رؤوس الأموال
بدلاً من استخدامها في الزراعة والتجارة .

وفي ختام هذا الفصل نقول إن بوشكين عُرِف خلال هذه
الحقبة من الزمن باهتمامه الزائد بالحياة الروسية الشعبية فحسب ،
بل بحياة الشعوب السلافية والأوروبية أيضاً ، وقد أوصلته
دراساته لآداب الشعوب غير الروسية إلى وضع حكاياته المشهورة
مثل (حكاية السمكة والصيد) ، و (حكاية الديك الذهبي)
و (حكاية القيصر الميته) وغيرها ، كما ترجم من الفرنسية
(أغاني صقالية الغرب) لميريمه .

مطاعن وعزلة

يندر حقاً أن يرى المرء في تاريخ الأمم حرباً سجّالاً بين عاهل
مملكة وشاعر كتلك الحرب التي استعرت نيرانها بين نيقولا الأول
وبوشكين . فكراهية القيصر للشاعر كانت تظهر بأشكال مختلفة
فتارة تبدو واضحة كل الوضوح ، وتارة أخرى تستتر بستار من
الاهتمام الأبوى بالكاذب ، والمطف القيصرى المزيف .

ففي سنة ١٨٣٤ منح القيصر بوشكين لقب (ضابط البلاط) وكان يرمى بذلك الوصول إلى هدفين ، الأول : تحقير بوشكين وجعله مدعاة للهزاء والسخرية ، والثاني : تخويل نقاليا بوشكين حق ارتياد البلاط ، بحكم عمل زوجها في وزارة الخارجية والتمتع بجميع ملاذه من حضور حفلاته الراقصة ، والاشتراك في مآدبه الفاخرة ، والتعرف إلى عليّة القوم وسفراء الدول .

وكانت العادة المتبعة في البلاط الروسي أن يمنح القيصر فريقاً من الفتيان النبلاء الذين تتراوح أعمارهم بين السابعة عشرة والثانية والعشرين لقب (ضابط البلاط) ، وهو أدنى مرتبة من مراتب البلاط القيصري ، وكانت مهمة هؤلاء الضباط الفتيان التجوال في قصر أنيتشكوف بألبستهم الزاهية المزركشة ، وحضور الحفلات الخاصة للانحناء أمام القيصر والقيصرة في كل مناسبة وغير مناسبة ، ومراقبة الحسان من نسوة رجال الحاشية وبناتهن .

فلما ظهر بوشكين ، البالغ من العمر الخامسة والثلاثين ، بين هؤلاء الفتية بلباسه الضيق المقصب ، وبالسيف يحجره على الأرض ، وبالأزرار المذهبة تسطع على صدره ، وبالقبعة المحلاة بالريش على

رأسه ، لما ظهر بهذا المظهر أمام رواد البلاط لم يتمالكوا عن الضحك عليه ، والاستهزاء به ، حتى أن القيصر نفسه كان كلما وقعت عيناه على بوشكين (الضابط) تطلع إليه شامتاً وشيعه بابتسامة ساخرة .

كتب بوشكين في يومياته يومئذ يقول . « لقد مضى على ثلاثه أيام وأنا ضابط في البلاط ، إن هذه الوظيفة لا تليق بسنى ، ولكن ما العمل إذا كان القصر يريد مشاهدة نتاليا ترقص في قصر أنيتشكوف ! » .

لم يكن الشاعر العبقرى ليهتم بدقائق عادات البلاط ، وأصوله ، ومجاملاته ، فقد دعى مرة لحضور حفلة راقصة برعاية القيصر ، فذهب إليها باللباس العسكرى والسيف على جنبه . . وسرعان ما لفت نظره إلى ذلك فعاد أدراجه ليرتدى لباس السهرة ، وبعد أن ارتداها توجه إلى زيارة صديق عزيز له بدلاً من الرجوع إلى الحفلة القيصرية :

وهكذا تكرر تهرب بوشكين من حضور حفلات نيقولا الأول الخاصة جاعلاً المرض دائماً ذريعة له ، وكان القيصر فى كل مرة يتغيب بها الشاعر يسأل عنه ، ويستفسر عن أسباب عدم

حضوره ، وقد حدث غير مرة أن أرسل الطبيب إلى بيته ليمتأكد من صحة مرضه ! . . . وإذا اتضح له أن بوشكين يتعمد التهرب من حفلاته الخاصة حنق عليه ، وشدد عليه النكير من جديد ، وأصدر أوامره إلى الشرطة بأن تراقبه مراقبة دقيقة وأن تطلع على جميع مراسلاته مع زوجته التي كانت تقضى فصلى الربيع والصيف في إقليم كالوجا .

وأعرب بوشكين في إحدى رسائله إلى زوجته عن عدم رضائه من « اللقب » الجديد الذى منحه إياه القيصر ، فاستولت السلطات على هذه الرسالة وأحالتها إلى عاهل الروس ، فغضب غضباً شديداً على الشاعر وأخذ يهدده بالويل والثبور ، ولم ينفذه من النفي إلى سيبيريا سوى أصدقائه أمثال جو كوفسكى ، وبوشين ، وغيرهما . . الذين سورا المسألة وهدأوا غضب القيصر .

وكتب بوشكين إلى زوجته بصدد هذا الحادث يقول : « لقد فتحت دائرة بريد موسكو رسالتى الأخيرة لك واشتمت منها أننى غير ممتن من تعيينى ضابطاً فى البلاط ، فأحالت الرسالة إلى القيصر وكان ما كان . . إننى لعلى استعداد لأن أكون فرداً

من الرعية بل من العبيد ! .. لكننى لن أكون هدفاً للهزء
والسخرية حتى ولا لدى قيصر السماء ! » .

والشاعر فى عبارته هذه يستعيد كلمات عبقرى روسى آخر هو
الكاتب الشعبى الكبير لومونوسوف الذى لاقى فى حياته من
العنت ما لاقى ، حتى إنه قال : « إننى لن أكون أحق لدى سادة
الأرض ، كما إننى لا أطيق المذلة حتى لدى الله نفسه الذى وهبنى
الحياة ! » .

لقد فقد بوشكين حرية المراسلة مع زوجته فكتب لها يقول :
« أتوقف عن مراسلتك مرغماً ، ولا أستطيع إمساك القلم بيدي
بسبب قحة دائرة البريد ، وكلما تصورت أن أحداً يستمع إلى
أسرارنا العائلية أكاد أجن حنقاً ، إننى أشعر بوحشة لا مزيد
عليها لبعذك عنى » .

غدا بوشكين يحلم بالاستقالة من « منصبه » فى البلاط
القيصرى ، والرحيل إلى القرية حيث يكرس نفسه تماماً للنظم
والتأليف ، وفى أواخر شهر حزيران (يونيو) سنة ١٨٣٤ قدم
لنيقولا الأول طلباً بالاستقالة فتلقى منه رداً جاء فيه : « من

الأفضل لك أن تبقى في خدمتنا من أن تبقى لنفسك ! » ، ثم كتب القيصر لبنيكندورف يقول : « إنني أسامحه هذه المرة أيضاً للجرأة التي أبدأها في طلب الاستقالة من خدمتنا ، وأطلب منك أن تدعوه للمشول بين يدي لأفهمه أن لكل شيء نهاية ، وأن ما كان يغتفر لشاب طائش في العشرين من عمره ، لا يغتفر لرجل في الخامسة والثلاثين ، رب أسرة ، وأبى أطفال » .

وهكذا سحب الشاعر طلب الاستقالة بعد هذه التهديدات الشديدة الموجهة اليه وإلى أسرته أيضاً ، غير أن بوشكين الذي لا يطيق الحياة بلا تأليف لا لتحقيق أهدافه الإبداعية فحسب بل لإعاشة أسرته أيضاً ، أحس بأن جو بطرسبورغ القاتم لا يشجعه على العمل ، فتوجه ثانية إلى القيصر يسأله منحه مأذونية لمدة ثلاث سنوات يقضيها في القرية ، فأجابه القيصر بقوله له : « إننا نخيرك بين الإقامة في بطرسبورغ والاستقالة مع كل ما يترتب عنها من نتائج ! » .

لم تتحقق أمنية الشاعر بالخروج من بطرسبورغ فظل مقياً فيها عرضة لحمولات منظمة يدير دفتها القيصر نفسه ، ورئيس الجندرية بنيكندورف ، ووزير المعارف أوقاروف ، ووزير

الشئون الخارجية نيسارود ، وغيرهم من رجال البطانة القيصرية . .
وقد أوعز في الوقت نفسه إلى الصحافة الحكومية أن تساهم بالحملة
على الشاعر فصارت في كتابتها عنه وعن مؤلفاته تنتقل من
الافتراء المقصود ، والنقد الجائر ، إلى المطاعن والمثالب الشخصية
المشربة بروح الشر والوقیعة .

وتحالفت مع هذه الحملات النكراء الموجهة إلى الشاعر أزمة
مالية حادة أمت به منشؤها منصبه الجديد في البلاط الذي كان
يقتضى الإسراف في اللباس ، والبذخ في إعداد الولائم ، علاوة
على ازدياد عدد أفراد أسرته ، إذ صار أباً لأربعة أطفال* ، وكان
عليه أيضاً أن يعيل شقيقتيه وأخاه وبعض ذويه .

لقد بلغت ديون بوشكين ، وقت أن قدم الطلب بالمأذونية
الطويلة الأمد ، ستين ألف روبل (حوالى ستمائة جنيه ذهباً) ،

* (١) — الكسندر — صار جنرالاً مقرباً من القيصر نيقولا الثانى ،
توفى في موسكو سنة ١٩١٩ .

(٢) — غيربوري — صار عضواً في محكمة استئناف مدينة فلينا
وتوفى فيها سنة ١٩٠٥ .

(٣) — نتاليا — توفيت في سنة ١٨٩٠ .

(٤) — ماريا — توفيت سنة ١٩١٩ .

وفي شهر كانون الثاني (يناير) سنة ١٨٣٤ جاء بطرسبورغ شاب فرنسي يدعى جورج دانتس ، فر من فرنسا إثر ثورة ١٨٣٠ لميل رجعي في نفسه ، وبعد أن هام على وجهه في أوروبا مدة أربع سنوات وهو عبثاً يسعى في طلب المعاش ، ولى وجهه شطر البلاد الروسية فوافاه الحظ فيها ، وإذا به يشغل منصب ضابط في الحرس الإمبراطوري الروسي ، ثم ما لبث أن تعرف إلى البارون هيكرن السفير الهولندي في بطرسبورغ وكان رجلاً لا يتمتع بسمعة طيبة في أوساط بطرسبورغ ، وسرعان ما توطدت أواصر الصداقة والود بينهما ، وإذا كان السفير بلا عقب تبني دانتس وحمله لقب أسرته فغدا يدعى البارون دانتس هيكرن ! . .

كان دانتس حسن الصورة ، رشيق الحركات ، كثير التعلق ، فلاقى في العاصمة الروسية نجاحاً كبيراً ، وحدث مرة أن رأى زوجة الشاعر في إحدى الحفلات فأعجب بها ، وصار يتودد إليها بكل صفاقة وجه ، وقلة أدب ، وما هي إلا أيام حتى أخذ خصوم بوشكين يروجون الشائعات في بطرسبورغ بصدد تودد دانتس إلى نقاليا ، فتداولتها الألسن ، وكثر اللفظ حول موضوع كانت زوجة الشاعر براء منه .

أحب بوشكين زوجته حباً جماً ، وكان يغار على سمعتها ، فلما بلغت الشائعات المختلفة ، اضطربت أعصابه ، واسودت الدنيا في وجهه ، وجعل يعمل الفكر في طريقة يدافع بها عن شرفه ، ويثبت طهارة زوجته وأمانتها .

لم يجد الشاعر مناصاً من مبارزة دانتس بالسلاح الناري . .
 لكن هذا البراز ألا يعرض حياة الشاعر أيضاً إلى الخطر ؟ .. لقد جالت هذه الفكرة في خاطر الكونت أولبرغ ، وهو أحد الأفراد القلائل الذين كانوا يعطفون على بوشكين ، فأسرع إلى أخى القيصر ميخائيل ، قائد الحرس القيصرى ، راجياً إياه الحيلولة دون البراز ضمناً بحياة الشاعر ، مقترحاً عليه ضم دانتس إلى الحملة القوقاسية ، لكن شيئاً لم يحدث لإنقاذ الشاعر من الهلاك ، بل على النقيض من ذلك كان البلاط الروسى بأسره ، ومن ورائه أوساط بطرسبورغ العليا ، يفضل الأفاق دانتس على بوشكين فخر الروس القومى وأمير شعرائهم على الإطلاق ، والواقع أن القوم كانوا يأملون بأن يسفر البراز عن مقتل خصمهم وما عليهم إلا أن يقفوا جانباً ينفخون فى النار ويتفرجون .

والعجيب فى بوشكين النابغة أنه حتى فى هذه الفترة العصيبة

من حياته لم يفتر عن خدمة الأدب ، فأصدر سنة ١٨٣٥ مجلة (المعاصر) ونشر فيها الشيء الكثير من كتاباته ، وقصائده ، وشذراته ، وتعليقاته ، كما فتح صدرها للكتاب الناشئين ، وهو أول من اكتشف مؤهلات غوغول وشجعه على التأليف ، وكان يقدم له العقد الروائية ويسأله أن ينشئ عليها القصص والروايات ، وقد أقر غوغول فيما بعد بفضل بوشكين عليه ، فكتب في كتاب (اعترافات مؤلف) يقول : « لقد جعلني بوشكين أنظر الى الأمور بعين الجد ، فحثني على الشروع بالتأليف فلما قرأت عليه ذات يوم فصلاً من مسرحية صغيرة أعجب بها وقال — كيف لكاتب يحمل هذه المؤهلات ولا يشرع بعمل كتابي كبير ؟ . . إنها لخطيئة لا تغتفر ! . . ثم أخذ يتحدث عن ضعف بنيتي وأسقامي ، وقال عليّ أن أسرع بالتأليف قبل أن تضعاً حداً لحياتي وأنا في عنفوان شبابي ، وضرب لي مثلاً الكاتب الأسباني الكبير سرفانتس سافدراً قائلاً إنه وضع عدداً من المسرحيات الجيدة لكنه لو لم يكتب (دون كيشوت) لما احتل تلك المسكنة العالمية التي يحتلها اليوم ، وأخيراً قدم لي موضوعاً كان يريده لنفسه ، وحول هذا

الموضوع كتبت روايتي الكبرى (الأرواح الميتة) * .
قال غوغول في مذكراته : « لما بدأت اقرأ لبوشكين الفصول
الأربعة من (الأرواح الميتة) كان يستغرق في الضحك حتى
يستلقي على قفاه ، لكنني لحظته يتغير شيئاً فشيئاً الى أن علت
وجهه سحابة قائمة من الكآبة ، ولما أتممت القراءة اعتدل في
جلسته وقال بصوت خافت : إلهي كم هي محزنة روسيا !

ونشر بوشكين في أواخر حياته في مجلته (المعاصر) روايته
الكبيرة (ابنة الربان) وهي تمثل جانباً من حركات الفلاحين
في روسيا ، كما نشر (صوراً من أيام الفروسية) شرح فيها حالة
الاقطاعات الروسية في القرون الوسطى ، وبدأ بنشر رواية
شعرية لم ينجزها وهي رواية (الليالي المصرية) التي صور فيها
بريشة الفنان الموهوب ماهية العبقري ، وما تنطوي عليه نفسيته
من ميول ونزعات .

ومن أواخر قصائده الغنائية قصيدة (القائد) وفخواها أن القائد
(باركلاي دي تولى) قدم مشروعا جيداً للتخلص من نابليون

* — (الأرواح الميتة) — هي رواية انتقادية لازعة للمجتمع الروسى
وقد وصفها الناقد بليفسكى بقوله : إنها الضحك من خلال الدموع !

غير أن قومه لم يثقوا بمشروعه وأقالوه من مركزه ، ولما وقعت الواقعة وأثاروا الحرب المقدسة للدفاع عن الوطن لم يروا بداً من العمل وفاقاً لذلك المشروع الذى وضعه القائد باركلای دى تولى ولم يكن ذلك القائد سوى الشاعر نفسه ! . . وقد ختم بوشكين تلك القصيدة ملاحاً الى شخصه فقال :

« أيها الناس ، يا من تستحقون الدموع والسخرية ،

يا عبدة الفرص ، ويا عشاق التوفيق ،

كم من مرة عبر الشاعر بحيمكم ،

وهو عرضة لمطالب العصر الأعمى الجموح ،

ولكن ما يبهجه ويعزيه :

هو أن صوته العالى ،

سينفذ إلى قلوب الأجيال القادمة ! »

لقد أدرك بوشكين قبيل مقتله أن مؤامرة تحاك حوله للقضاء

عليه ، فأحس أن بموته خسارة لوطنه الكبير ، فاذا به يضع قصيدة

(التمثال) يستعرض فيها ذلك الطريق الذى اجتازه ، وذلك

الإرث الثقافى الذى خلفه لروسيا ، فقال فيها ما ترجمته : « كلا ،

إننى لن أموت ، فالذى يفنى هو جسمى فقط ، وأما روحتى

فستظل دائماً حية ما بقي على وجه البسيطة شريف واحد . .
وسيجتاز صيتي روسيا العظمى ، وسيدكرني فيها كل لسان
كائن : من صقلي وفنلندي ، ومن تونغوزي وكالميكى ! »

مبارزة وموت

تلقى الشاعر فى الرابع من شهر تشرين الثانى (نوفمبر)
سنة ١٨٣٦ رسالة بالبريد خالية من التوقيع وقد تعمد مرسلها إثارة
شعور بوشكين ، وإضرار النار فى قلبه ، فجاء فيها ما يلى :
« اجتمع القواد والفرسان العظام لفرقة حملة القرون السامية ،
برئاسة رئيس الفرقة المليونار يشكين ، وقد أقروا بالاجماع انتخاب
الكسندر بوشكين نائب رئيس فرقة حملة القرون ، ومؤرخاً
لتلك الفرقة ! »

ونار يشكين هذا الذى ورد اسمه فى الرسالة كان زوج محظية
القيصر الكسندر الأول ، وقد قصد مرسلو الرسالة من ذكره فى
ذلك القلب التهمى التعريض بشرف الشاعر ، والإشارة إلى
أن زوجته إن هى إلا محظية لنقولا الأول كما كانت زوجة

ناريشكين محظية لالكسندر الأول ، واتهام الشاعر بأنه يعلم بذلك وراض عنه .

وقد ظهر فيما بعد أن كاتب هذه الرسالة هو أمير خليع يدعى (دولغوروكوف) ، يسنده رهط من الفتیان الأعيان المستهترين و بعض الموظفين القيصريين ، و جماعة من أعضاء السلك الدبلوماسى وفى طليعتهم سفير هولاندا البارون هيكرن .

كان بوشكين مقتنعاً كل الاقتناع بأن البارون هيكرن متبنى دانتس هو الذى أوحى لدولغوروكوف كتابة الرسالة السفية المذكورة ، ولذا عقد النية على دعوة السفير نفسه إلى البراز لكنه فطن إلى أن مركز هيكرن الدبلوماسى ، وكبر سنه ، يتنافيان مع شروط المباراة ، ولذا وجه الدعوة إلى دانتس ، ذلك الضابط الفرنسى الطريد الذى كان آلة آثمة فى يد غيره لتسميم حياة الشاعر العائلية .

وسرعان ما أدرك البارون هيكرن أنه مهما كانت نتيجة البراز فسيفقد مركزه كسفير لبلاده فى روسيا ، وهو مركز كان يتهالك عليه ، ففتقت له الحياة بأن أوعز إلى ربيبه بطلب يد كاترينا غونتشاروفا شقيقة زوجة الشاعر ، وبذلك تتم المصالحة ويصبح الجميع أفراد أسرة واحدة !

وفعلا اقترن دانتس من كاترينا ، واسترد الشاعر الدعوة وقد صمم ، على ألا تكون له أية علاقة بهذا « النسيب » الجديد ، ولكن ما كاد شهر العسل ينقضى على دانتس حتى تابع تودده إلى زوجة الشاعر ، وعادت أوساط بطرسبورغ الرفيعة تحميك شتى القصص والشائعات حول نثاليا وتغمر ببوشكين وتتهم عليه ، وتطعنه في شرفه وكرامته .

لقد اقتنع بوشكين في أواخر أيامه أنه يعيش في جو مسمم ، وأنه محاط بجدار من الأعداء ، وأن القيصر ، وبنكندورف ، ووزراء الدولة ، يلاحقونه ويسدون عليه المنافذ وأن الأوساط الروسية العليا تشن عليه الحملات العنيفة ، وأن حاشية البلاط لا تألو جهداً في تحطيم حياته العائلية ، وأن أصحاب المجلات والصحف المتمسحين بأعتاب القيصر لم يتركوا فرصة للحط من قيمة تأليفه إلا اغتتموها ، وأن الضائقة المالية شددت الخناق عليه وغدا مدخوله أقل بكثير مما تتطلبه أسرته من نفقات ، وأن القيصر لا يسمح له بترك بطرسبورغ طالباً منه البقاء بها والمساهمة في حياة البلاط المتفسخة ، فكان لهذه العوامل كلها مشتركة أن جعلته يلتمس سبيل الخلاص بأي ثمن كان .

قام بوشكين بآخر محاولة في امتحان عدل القيصر وانصافه بأن قدم له رسالة وصف فيها الدسائس التي تدبر ضده ، مفهماً إياه بأن ما تلوكه الألسن من أقوال وتخرصات إنما تعم القيصر نفسه أيضاً . . وكان جواب نيقولا الأول على هذه الرسالة : « أمرك بالصمت ! » .

هنا قرر الشاعر على أن يقاتل أحد أعدائه مهما كانت النتائج ، فأرسل في السادس والعشرين من شهر كانون الثاني يناير سنة ١٨٣٧ رسالة إلى دانتس تحذاه فيها ونعته بأحققر النعوت وأكده بأنه يكون فاقد الحس والوجدان إن لم يقبل المبارزة ! فلم يسمع دانتس إلا قبول التحدى وكان شاهده أحد موظفي السفارة الفرنسية في بطرسبورغ المسيو دي آرشيالك ، وكان شاهد بوشكين صديقاً له يدعى دانزاس .

كان الشاعر قبيل المبارزة هادئاً مرحاً يراجع أعمال مجلته كأن شيئاً لن يحدث ، فعلق على بعض المواضيع ، وراجع عدداً معدداً للطبع ، وأجاب على رسائل وردت إليه ، وترك كلمة للكاتبة الروسية ايشيموفا تتعلق بشؤون المجلة الإدارية . وفي السابع والعشرين من شهر كانون الثاني (يناير)

سنة ١٨٣٧ أقلت زحافتان بوشكين وشاهده ، ودانتس وشاهده ،
 وذهبتا بهم إلى ضواحي بطرسبورغ ، حيث وقفتا عند مكان
 يعرف بالنهر الأسود ، وهناك هبط الأربعة وسووا المساحة ،
 المغطاة بالثلوج الكثيفة بأقدامهم وقاسوا المسافة وجعلوا البرانس
 حداً للمتبارزين ، ولدى صدور الإشارة شرع كل منهما يسير
 في اتجاه معاكس ، ثم دار فجأة عند الحد الفاصل ، وكان
 دانتس قد سبق بوشكين باطلاق النار فأصابه في بطنه بجرح
 مميت ، وإذ شعر بوشكين ببعض النشاط يعاوده أحب الاستفادة
 من حقه بالرد على خصمه فنهض قليلاً وهو مستلق على الثلج
 وأطلق عياراً على دانتس فأصابه بجرح طفيف جداً .

كانت نتاليا تنتظر بوشكين لتناول الغداء بفارغ الصبر ،
 وقد استغربت تأخيره على غير عادته ، وبينما هي تضرب أخماساً
 بأسداس إذ بها تسمع جلبة عند باب الدار ، وقرعاً عنيفاً ،
 ثم فتح الباب ودخل دانتس إلى غرفة الطعام وأخبر نتاليا
 بأن زوجها جرح في براز مع دانتس وسألها أن تملك روعها وأن
 تكون رابطة الجأش ثابتة الجنان . . ولكن ما كادت نتاليا
 ترى زوجها مضرجاً بدمه حتى سقطت عليه فاقدة الرشده .

عانى بوشكين آلاماً مبرحة في ساعاته الأخيرة إلا أنه احتملها
برجولة وهدوء ، أما نيقولا الأول فقد ظل يضايقه حتى وهو على
فراش الموت ، فأرسل له كتاباً يطلب منه فيه أن يقوم بطقوس
الكنيسة الأرثوذكسية جاعلاً ذلك شرطاً لضمان معيشة
زوجته وأطفاله .

وقبل أن يلفظ أمير شعراء روسيا نفسه الأخير طلب السماح من
أصدقائه . والمحيطين به ، وطبع على جبين زوجته قبلة الوداع ،
وبارك أطفاله . وفي الساعة الثانية والدقيقة الخامسة والأربعين
من بعد ظهر التاسع والعشرين من شهر كانون الثانى (يناير)
سنة ١٨٣٧ أسدل الستار على حياة الكسندر بوشكين ، واختفى
ذلك العبقرى الخالد الذى تمكن خلال سبع عشرة سنة من حياته
الإنتاجية من تجديد الأدب الروسى ، وفتح آفاق واسعة لمفكرى
الروس ، وأدبائهم ، وشعرائهم .

ولما بلغ نيقولا الأول نبأ موت بوشكين قال : « لقد توقعت
له هذه الخاتمة ! »

ظل جثمان الشاعر معروضاً فى بيته مدة ثلاثة أيام ، وقد
احتشد خلق عظيم عند مداخل البيت ، وكلهم يصبو إلى

تشيع الراحل بالنظرة الأخيرة ، ويقال إن عدد الذين شاهدوا
جثمان الشاعر بلغ مئتي ألف نسمة !

وإذا رأى القيصر أن دفن بوشكين في بطرسبورغ أو موسكو
ستأتى عنه متاعب جمة ، أصدر أمره بنقل جثمانه خفية إلى دير
سقياتوغورسكى الواقع بالقرب من قرية ميخايلوفسك .

وفي صبيحة أول شباط (فبراير) سنة ١٨٣٧ ، شاهد جماعة
من فلاحي ضواحي بطرسبورغ زحافة تحمل تابوتاً تجرها أربعة
جياد مطهمة وهي تسرع السير جنوباً ، وتعدو في أثرها ثلة
من الدرك المسلح !

انتهى

النبي

« جبت القفر القاتم متعثراً ،
 وأنا تعب من نفسى الظامئة ،
 وعند ملتقى الطرق ومفترقها ،
 ظهر لى ملاك بستة أجنحة ،
 مر بأصابعه على عيني ،
 فكان لمسه رقيقاً كالخلم ،
 فتحت عيني وجلا ،
 وكأني نسر قد بوغت فى وكره ،

مر بأصابعه على أذنى ،
 فملاهما بالضجيج والطنين ،
 وسمعت دوران الأجرام فى السماء ،
 والملائكة تجر أذيالها فى القضاء ،
 والوحوش تتحرك فى أعماق البحار ،

والكرمة تعرش في الوادي ،

مدّ يده إلى فمي ،
 واستل لسانى الخاطىء ،
 فمحا الخبث والأقوال الفاسدة ،
 وبيده الملوثة بالدم ،
 وضع لسان الحية الحكيمة ،
 مكان ذلك اللسان ،

ثم شق صدرى بسيف ،
 ونزع منه قلبي الخافق ،
 وأثبت مكانه ،
 فحمة تتأجج بالنار !
 استلقيت في القفر ، وكأني جثة هامدة ،
 وصممت صوت الله يقول : قم أيها النبي ، راقب ، واصغ
 واعمل حسب مشيئتي ! . . طف في القفار والبحار ،
 وبكلمتي أوقد النار في قلوب الناس ! »

الطلسم

هناك حيث البحر ،
 يغسل دائماً الصخور الجرداء ،
 هناك حيث القمر ،
 يسطع دائماً في كبد السماء ،
 هناك حيث ابن القوقاز ،
 يقضى الأيام مع غادته الهيفاء ،
 هناك قدمت لى الساحرة ،
 غلاباً فيه طلسم !

قالت مداعبة :

احتفظ بطلسمى ،

فيه قوة خفية ،

إنى أعطيك إياه ،

من أجل الحب فقط !

إنه لن ينفعك فى أويقات الأخطار والأحزان ،

إنه لن ينقذ رأسك في فترات العواصف والأعاصير ،
 إنه لن يمنحك ثروة الشرق ،
 ولن يُخضع لك أبناء جيلنا الأشم ،
 ولن ينقلك من بلاد العربية الحزينة ،
 إلى أصدقائك ووطنك في الشمال .
 ولكن إذا ما العيون الحبيثة ،
 سلبت منك لُبّك ،
 وإذا ما الأفواه في ظلام الليل ،
 همت بقمبيلك ،
 وإذا ما الخيانات الجديدة ،
 أدمت منك قلبك ،
 عندها عليك بطاسمي ،
 فهو ينفعك ويحفظك .

فهرس الأسماء

(١) تيمناً بهانيبال القرطاجنى : ابن زعيم قرطاجنة هاميلكار ، وهو من أعظم القواد الساميين ولد فى أسبانية سنة ٢٤٧ قبل الميلاد ، ثم هاجم إيطاليا بأربعين ألفاً من جنوده ، وسحق ثلاثة جيوش رومانية ، ومات فى سوريا سنة ١٨٣ قبل الميلاد .

(٢) إيثان إيثانوفتش بوشين : شاعر ، وهو من أصدقاء بوشكين المقربين ، درس وإياه فى المعهد القيصرى ، ثم ساءم فى الحركة الأدبية فى بطرسبورغ ، واشترك فى انقلاب الدسمبريين فى ١٤ ديسمبر سنة ١٨٢٥ ونفى إلى سيبيريا .

(٣) ولهم كارلوفتش كوخيليكير : شاعر ، وزميل بوشكين فى المعهد ، ومن أنصاره فى الحركة الأدبية ، اشترك فى الحركة الدسمبرية .

(٤) أنطون أنطونوفتش دلقيج : (١٧٩٨ — ١٨٣١) ، زميل بوشكين فى المعهد ، شاعر فنان ينحون نحو الكلاسيكيين ، أصدر مجلة (الصحيفة الأدبية) فى بطرسبورغ .

(٥) جريجورى نيقولايفتش تشرنيشفسكى : (١٨٢٨ — ١٨٨٩) ، كاتب وعالم كبير ، ديمقراطى النزعة ، ومن دعاة الإصلاح ، اعتقل سنة ١٨٦٢ وحكم عليه بالنفى لمدة ١٤ سنة ، والابعاد إلى سيبيريا مدى الحياة .

(٦) الدسمبريون : فريق من الضباط الروس النبلاء ، تأثروا بمبادئ الثورة الفرنسية الكبرى ، وحاولوا القيام بانقلاب دستورى فى ١٤ ديسمبر (كانون الأول) سنة ١٨٢٥ ، لكنهم فشلوا ، وأعدم خمسة من زعمائهم ، وعرفوا فيما بعد بالدسمبريين .

(٧) بيتر جاكوبليفتش تشادايف : أحد ضباط فرقة الفرسان القيصرية

وهو مفكر ديمقراطي ، وعضو في جمعية (آرزاماس) الأدبية .

(٨) آريست اسم أغريقي تخيله الشاعر .

(٩) ايفان ايفانوفيتش ديميتريف — (١٧٦٠ — ١٨٣٧)

شاعر ومن رجال الدولة ، كان وزيراً للعدل إبان حكم الكسندر الأول ترك مجموعة قيمة من الشعر والقصص

(١٠) غابريلا روما نوفتش درجافين — شاعر روسي كبير ، ولد في قازان سنة ١٧٤٣ ، انتظم في الجيش ، وكان حاكماً لمنطقة تومبوف ثم غدا سكرتير ديوان كاترين الثانية ، نظم لها أناشيد كثيرة ، وهو واضع الفسيد القيصري المعروف ، وكان وزيراً للحقانية إبان الكسندر الأول ، ومات في ٢١ تموز (يوليو) سنة ١٨١٦ .

(١١) ميخائيل فاسيليفتش لومونو سوف — شاعر وعالم ، ولد في جزيرة دينيسوفكا سنة ١٧١١ بالقرب من ولاية ارخانجل ، درس التعدين والكيمياء ، ونظم الشعر ، وكان مديراً لجامعة بطرسبورغ ثم وزيراً للمعارف ، وقد ترك أثراً كبيراً في تحديد الأجرومية الروسية وإحياء البيان والبلاغة الروسيين ومات سنة ١٧٦٥ .

(١٢) تشرفونتس — نقد روسي يعادل عشرة روبلات ، أونصف جنيه انكليزي .

(١٣) جوفينال — هو ديسيموس يونيوس جوفيناليس ، شاعر روماني هجائي تهكمي ، عاش في سني ١٤٠ — ٦٠ قبل الميلاد .

(١٤) نيقولاى ميخايلوفتش كارامزين — مؤرخ ناقد ، روائي وشاعر ، ولد في ولاية اورنبوغ سنة ١٧٦٥ ، وهو تترى الأصل أصدر سنة ١٧٨٩ (صحيفة موسكو) ، وأصدر سنة ١٨٠٢ مجلة (الرسول الأوربي) وكتب تاريخ الدولة الروسية ، وكان من أنصار الأوتوقراطية ، يعبد ايفان الرهيب ، ويتغنى بالاستبداد مات سنة ١٨٢٦ .

(١٥) فاسيلي اندريفتش جوكوفسكى — شاعر ، ولد فى ولاية تولا سنة ١٧٨٣ ، من شعراء العصر الذهبى للشعر الروسى ، له ديوان فى الغزل والمراثى ، ومن جلائل أعماله تعريفه الروس بالأدب الإنكليزى وغيره ، وهو الذى ترجم الأوديسى إلى الروسية ، وكان مريباً لالـكسندر الثانى ، مات سنة ١٨٥٢ .

(١٦) كونستانتين نيقولايفتش باتيوشكوف — (١٧٨٧ — ١٨٥٥) شاعر روسى برز فى نظم المراثى الكلاسيكية .

(١٧) الأميرال الكسندر شيشكوف — (١٧٥٤ — ١٨٤١)

زعيم المحافظين فى الأدب الروسى ، ومن خصوم الرومانطيقية الفرنسية فى الشعر (١٨) حق الاسترقاق — كان نظام الأراضى فى روسيا حتى أواسط القرن التاسع عشر يقوم على حق استملاك الفلاحين واسترقاقهم ، فيبيعهم الملاك إن شاء ويبتاع غيرهم إذا لزم الأمر ، ولم يبلغ هذا النظام إلا سنة ١٨٦١ ، وقت أن تطلب التطور الصناعى حرية اليد العاملة .

(١٩) اليعاقبة — فى الأصل هم رهبان دير القديس جاكوب الواقع فى شارع سانت أونورز بباريس ، ولما هبت الثورة الفرنسية أخذ أنصار روبسيير الديمقراطيون المتطرفون يعقدون اجتماعاتهم فى هذا الدير ، ثم عرفوا فى التاريخ الفرنسى باليعاقبة أو اليعقوبيين .

(٢٠) نيقولاى نيقولايفتش رايفسكى — زميل بوشكين فى المعهد القيصرى ، ومن أنصاره فى الحركة الأدبية ، كان دسمةياً نشيطاً .

(٢١) الكسندر نيقولايفتش رايفسكى — أديب ، بعيد النظر ، أعجب به بوشكين ، ووصف سجاياء فى قصيدة (المارد) .

(٢٢) پاول إيفانوفيتش پيستل — ضابط فى فرقة الفرسان ، وزعيم الدسمةيين ، اشترك فى حركة ١٤ ديسمبر سنة ١٨٢٥ ، وأعدم .

(٢٣) ليونيداس — ملك أسبوطه ، تولى الدفاع عن بلاده وقت أن

هاجها أجرنسيس بن دارا الفارسي سنة ٤٨٠ ، وقتل عند مدخل ترموپلاوى .

(٢٤) تيموستوكليس - رئيس حكاه أثينا ، تولى قيادة الأسطول اليونانى وقت أن هاجم أجرنسيس اليونان ، وقد دافع عن وطنه دفاعاً مجيداً .

(٢٥) كوندراتى ريليف - (١٧٩٥ - ١٨٢٦) شاعر حماسى من أتباع مدرسة لدمونوسوف ، دسمبرى ، اشترك فى الحركة الدسمبرية وأعدم (٢٦) بولتافا - فى سنة ١٧٠٩ تغلب بطرس الأكبر على شارل الثانى عشر ملك السويد فى معركة بولتافا من أعمال أوكرانيا ، وهزمه شر هزيمة ، وظل يطارده حتى الجأه إلى الآستانة .

(٢٧) فاساربون جريجورىفيتش بلينسكى - من أشهر النقاد الروس ولد سنة ١٨١١ ، وهو ابن طبيب عسكري تخرج من جامعة موسكو وكانت أولى رواياته (تلسكوب نادى بوجدن) ومات سنة ١٨٤٨ .

(٢٨) نيقولاى فاسيليفيتش غوغول - روائى روسى كبير ، اشتهر بالنقد التهمكى لمجتمعه ، ولد سنة ١٨٠٩ فى بولتافا من أعمال أوكرانيا ، زهد فى آخر حياته فأحرق الكثير من مخطوطاته ، ومات بنوبة عصبية سنة ١٨٥٢ .

(٢٩) ديميتري فاسيليفيتش غريغورىفيتش شاعر وقصصى روسى ، ولد سنة ١٨٢٢ فى بلدة سميرسك ، بدأ حياته الفنية بالتمثيل المسرحى ، ثم صار ينظم الشعر الممتن ، ويضع القصص التى يصور فيها حياة القرية الروسية .

(٣٠) فيودور ميخايلوفيتش دستوفسكى - روائى سيكولوجى كبير ، ولد سنة ١٨٢١ فى موسكو ، كان حر النزعة وحكم عليه بالاعدام الوهمى ثم بالنفى إلى سيبيريا لمدة عشر سنوات ، وله روايات قيمة ، وكانت وفاته سنة ١٨٨١ .

(٣١) نيقولاى الكسيفتش نيكراسوف — شاعر كبير ، ومصلح بارز ، ولد فى بودوليا سنة ١٨٢١ ، كان ينزع إلى تصوير آلام الشعب ، توفى سنة ١٨٧٧ .

(٣٢) بيترا الكسيفتش پليئينيف — أديب ، وصديق بوشكين الحميم ، وبيت أسرار .

(٣٣) بيترا أندريفتش فيازيمسكى — (١٧٩٢ — ١٨٧٨) شاعر عميق الفكر ، وأحد النقاد الروس البارزين .

(٣٤) ايمبليان بوغانشوف — فلاح من قوزاق الدون ، أعلن الثورة على كاترين الثانية ، وكان أنصاره يعتقدون أنه زوج القيصرة المختفى بيترا فيدوروفتش ، وبيترا هذا هو ابن اليزابيت بتروفنا (ابنة بطرس الأكبر) ، اعتلى العرش إثر وفاتها ، وقد سعى فردريك الكبير البروسى من تزويج كاترين الثانية به ، وسرعان ما اغتيل بيترا وانفردت كاترين بالسلطة ، غير أن فلاحى الدون الثائرين لم يقتنعوا بأنه مات وكانوا يعتقدون أن ايمبليان بوغانشوف إن هو إلا بيترا فيدوروفتش ، ويجب أن يعاد إلى منصة الحكم .

(٣٥) الكسندر فاسيليفتش سوفوروف — (١٧٢٩ — ١٨٠٠) القائد الروسى الشهير ، وأظهر مواهب فائقة فى تنظيم الجيش الروسى ، أخذ ثورة بوغانشوف ، ولعب دوراً كبيراً فى الحرب الوطنية الأولى ضد نابليون ، ووسام سوفوروف اليوم من الأوسمة السوفياتية الكبيرة .

جائزة « اقرأ » لسنة ١٩٤٤

نتيجة الاستفتاء

في اليوم الخامس عشر من شهر فبراير سنة ١٩٤٥ اجتمعت لجنة الاستفتاء المؤلفة من أعضاء لجنة « اقرأ » حضرات الأساتذة الدكتور طه حسين بك وأنطون الجميل بك وعباس محمود العقاد وفؤاد صروف ومن الأساتذة شفيق نجيب م ترى صاحب دار المعارف ويوسف مشاقه مديرها وعادل الغضبان مدير القسم الأدبي فيها ونظرت في الأصوات الواردة عن الاستفتاء وعددها ٢٧٦١ صوتاً فقررت استبعاد ١٣٢ صوتاً لمخالفتها شروط الاستفتاء وكان الكتاب الفائز هو كتاب « سيدة القصور » للأستاذ علي الجارم بك فاستحق جائزة « اقرأ » لسنة ١٩٤٤ وقدرها خمسون جنيهاً مصرياً وكان الكتاب الثاني « جحا في جانبولاد » للأستاذ محمد فريد أبو حديد .

ولقد أعلنت هذه النتيجة في حفلة الشاي التي أقيمت في الساعة الخامسة من اليوم المذكور واقترع فيها على جوائز القراء فأسفر الاقتراع عما يأتي :

الجائزة الأولى وقدرها ٢٥ جنيهاً

الحضرة حسين محمد شكرى بطنطا

الجائزة الثانية وقدرها ١٠ جنيهاً

الحضرة عبد الحكم على العدل بالبتانون بالمنوفية

الجائزة الثالثة وقدرها ٥ جنيهاً

الحضرة الأنسة نعمت عبد الفتاح بالاسكندرية

الجائزة الرابعة إلى الثالثة عشرة وقدر كل منها جنية واحد من نصيب حضرات

محمود كامل عبد الحميد بطنطا مصطفى أحمد بكري بمنفلوط
ومحمد عثمان على بلول بالسودان ومحمد فهمى الغر بطنطا
ومحمد محمود فؤاد بالجيزة وعبد الرحمن سيد حسين بأسسيوط
وعبد الباقي عباس الدراملى بقنا ومصطفى الهامى هاشم بشبرا
ومحمود شوقي العاصمى بطنطا وفايز حسين المبيض بشرق الأردن

DATE DUE



891.78:P987YsA:c.1

صدقی، نجائی

بوشکین امیر شعراء روسيا

AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT LIBRARIES



01032699

891.78

P987YsA

c.1

891.78
P987Y5A
c.1